قصص

قُلُوبٌ طَامِحَةٌ

سمية عبد الحليم عويس

٣٠ مجموعات قصصية

قلوب ظامئة

[رسائل دامعة إلى سيدي الفيلسوف]

سمية عبد الحليم عويس

٢٠١١

الكتاب : قلوب ظامئة

المؤلف : سمية عبد الحليم عويس

النوع : ٣ مجموعات قصصية

الصفحات : ١٦٨ صفحة

المقاس : ١٤ × ١٩ سم

الطبعة : الأولى ــ القاهرة ٢٠١١

الغلاف : إهداء من الشاعر حسن حامد

المراجعة اللغوية : هويدا نصار

رقم الإيداع : ٢٠١١/٣٤٨٩

الترقيم الدولى : 987-977-374-705-3

الناشر : دار بوب بروفيشنال برس ــ ثرى بى

pop professional press (3p)

بالتعاون مع دار الإسلام للطباعة والنشر

ت : ٠١٠١٧٨٩٨٢٧ ــ ٠١٢٥٠٥٨٦٥٥

popprof@ymail.com



المجموعة الأولى

(قلوب ظامئة)

الإهداء

إلى ذلك القلب الذي لا يهدأ ولا يرتاح .. أحبَ وما أحبَ ..

عشق لكنه جنى أشواك الفراق وما وجد بَرْد اللقاء ..

فيا ليته ما عرف معنى الحب ولا عاش لذة العشق ..

فما أنفس القلب الذي اكتوى بمرارات النوى ..

وأنّ تحت وطأة العذاب ..

ذلك إنه ما عرف إلا حباً واحداً طوال مشواره في عالم العشاق

ذلك هو الحب المستحيل!!.

اللمية

فيلسوفي الكبير

إليك يا بحري الحبيب بحر الحقيقة أو بحر السفن أو بحر الرحيل أو بحر الحياة.

قلما أبحر فيك يا بحر .. وأنت يا بحر مازلت فيلسوفي الكبير .. وقد جئتك اليوم حائرة شاكية ظلم المحبين .. وقسوة الحب وحرمانه ومجونه أحياناً .. علك تخبّرني عن معنى الحب .. فأنت يا بحر فيلسوفي الكبير.

في هدير أمواجك أرى رحلة عمري.

في ثورتك أجد ثورة شكوكي.

بين سفنك الغريقة رأيت غرق أحلامي.

وعلى شاطئك جلست أتسمع حديثك الصامت الحكيم.

فلتسمعني الآن يا بحر .. يا فيلسوفي الحكيم.

يا بحر جئتك حائر الوجـــدان ... أشكو جفاء الدهـــر للإنسانِ

يا بحر خاصمني الزمـــان وإنني ... ما عدت أعرف في الحياة مكاني

كم عانقتني في رمــــالك أنجمُ ... كم داعبت بالأمنيات لســـاني

كم عاش قلبي في سمائك راهـبا ... يُشفي جـــراح الحب بالألحان

واليوم جئتك والهمــــومُ كأنها ... شبحٌ يطـــارد مهجتي وكياني

يا بحر أسكرني الزمـــان بخمرة ... مغشـــوشة عصفت بكل كياني

كم خادعتني في الظـــلال ظلالها ... كم أسكتت عند الحديث لساني

ما كنت أحســـبُ ذات يوم أنني ... سأصير إنساناً بلا إنســـــان

على الشاطئ

كثر الهجر على القـــلب فهـل　　من ســـلو أو بعـــاد يرتضيه
أنت فجر من جمال وصـــبا　　كل فجر طــــالع ذكّرنيه
كيف جانبتُك أبغي ســـلوةً　　ثم ناجيتك في كل شـــييه
أيها الســـاكن عيني ودمي　　أين في الدنيا مكان لستَ فيه ؟!

***

عندما أقفرت الدنيا جميـــعا　　لحتَ لي تحمل عمـــراً وربيعا
إن يكن حلماً تولى مســـرعا　　أجمل الأحلام ما ولى ســـريعا
إن يكـــن ما كان ديناً يُقتضى　　خلني أدفعه عنك دمـــوعا
قد شربناه عزيزاً غالـــياً　　إن تكن بعت فإني لن أبيـــعا

***

يا ندامي الحب سُمـــار الهوى　　سكبوا لي السُهد في ذاك الشراب
أرقوني أجرع الســـقم وبي　　صفرة الكأس وأوهـــام الحباب
كلـــما تقبل أيام المـــنى　　تنجلي النعماء عن ذاك السراب
وترى أيامي الحـــيرى عـــلى　　عرسها الضاحك أحزان الضباب

***

حب مفقود !

كيفَ أمحوكَ من أوراقِ ذاكرتي وأنتَ في القلبِ مثلُ النقشِ في الحجرِ ؟!

***

رحلة طويلة هي .. رحلة بطول العمر إن كان العمر يُعد طويلاً في نظرك سيدي الفيلسوف .

رحلة شاقة هي .. خضت مخاضاتها بشِق النفْس بعد تيه في متاهات الزمن والناس والنفْس المعذِبة والمعذَبة .. ركبت سفينة العِشق منذ صغري فصار الهوى ينمو في خلايا جسدي النحيل عاماً بعام ، وصرتُ بسفينتي رهينة بحر الأيام ، والأيام غادرة كما البحر غادر ، سوداء كسواد البحر ، هائجة كالموج ثائرة كثورة الريح ، فيا لها من رحلة .

ويا له من نصيب بل يا له من مصير .. هلاك إثر هلاك .. طوفان فوق طوفان .. لحظة فرح بأمل النجاة ذاقت الويلات من عُسْر المخاض تحت أقدام وحش كاسر !.

قصة نفْس جريحة منكسرة هزيلة .

قصة عمر خط فوق سطح البسيطة لكنه وُئِد بمنجل الظلم ! .

أبعد كل هذه الأيام أشتاق إليه وأتوق لمرآه .. كم ناداني بدمعه ساعة الوداع وترجّى في قلبي الباكي .. فلماذا فارقته ولماذا أضعته ؟ لماذا أحببته ؟ .

وأنت يا نفسي أبعد كل هذه المسافات تجلديني بسياط الحساب والعتاب ؟ .

لماذا خبأتِ عنه حبك وهو حبيبك ؟ .

لماذا أذقتِ روحك المسكينة نيران الوحدة والألم والفراق والغربة ؟ .

كم قالت عيناه لا ترحلي ؟ .

أمسح دمعه بيدي وبالأخرى أصفعه ؟! .

يوم من عمري عرفت فيه الهناء .. وبكيت منه وعليه ! .

يوم من عمري أهرب منه وأبتعد عنه وأظل وحدي إلى آخر عمري أنتظره.

لا تتعجب يا سيدي الفيلسوف .. لا تندهش .

إنني جامعة المتناقضات .. إنني مأساة الفرحة .. وفرحة الدموع .

ولا تتصور أن قلبي عاش في سعادة الدهر بعشقي .

بل إنه تعذب مرات ومرات في المرة الواحدة .

أجل يا سيدي .. فما أحب مرة واحدة بل أحب مرات عديدة لكنه أبداً ما نال الراحة ولا لمس بيديه النجوم ! .

كم اشتاق قلبي للحب وخافه .

كم ذاق قلبي من شهد التجربة وكم فرح بها .. ثم رجع فندم .. كم قسى عليّ الحب وذبحني بسكينه الحادة في ظلمة الأشواق والفراق والحيرة والغيرة بين لهفة النظرات وحرارة اللمسات .

كان الحب قدري وجلاّدي ومازال حلمي وأملي ووهمي الكبير !.

ألا ما أشقى المحبين وأبأس رواد الغرام !.

ألا ما أتعس العاشق بآماله العريضة حين يصطدم بصخرة الواقع المرير !.

***

عام مضى يا للزمـــان وطيِّه فينا وبالســواخر الأقــدار

عـــام مضى وكأن أمس نعيُّه ياما أقل العام في الأعمـــار

شيخٌ يدبُ إلى الأصيــل وقلبُه وجنانُه في نُضـــرة الأسحار

ويحس تبريح الصبابة واصـــفاً مجنون ليلى في سحـــيق قفار

ويرى الحـياةَ الحبَ والحبَ الحيا ة إنهما شعارُ العين أيُ شـــعار

***

يا ساكنَ الصحراء منفــرداً بها مستوحشـــاً في غربةٍ وتنائي

هل كنت قبلاً تستشف سكونها وترى مقامك في العـــراء التائي

***

فأتيت والدنيا ســـرابٌ كلها تروي حديث الحب في الصحراء

ووصفت قيســاً في شديد بلائه ظمآن يطلب قطـــرةً من ماءِ

ظمآن حين الماء ليلى وحـــدها عَزّت عليه ولم تُتح لظمـــاءِ

هيمان يضرب في الهواجر حـالماً بظلال تلك الجنة الفيحـــاء

فإذا غفا فلطيفها ، وإذا هـــفا فلوجهها المستعذِب الوضـــاءِ

ياللقلـــوب لقصةٍ بقيت على قِدم الدهـــور جديدة الأنباء

هي قصة الطيف الحزين وصورة الـ قلب الطعين مُجـــللاً بدماء

هي قصة الدنيا ، وكم مـــن آدم منّا له دمعٌ على حـــواء

***

في الميناء .. لكنا وصلنا !!

كلٌ به قيس إذا جــنَّ الدجى ... نزع الإباء وباح بالبرحـــــاء

فإذا تداركه النهار طـــوى المدا ... معَ في الفؤاد وظَنَ في السُعــداء

لا تعلم الدنيا بما في قلـــــبه ... من لوعةٍ ومرارةٍ وشـــــقاءِ

كلٌ له ليلى يرى في حبـــــها ... سر الدُنى وحقيقة الأشـــياء

ويرى الأماني في سعير غرامـــها ... ويرى الســـعادة في أتمّ شقاء

الكون في إحسانها والعمــر عند ... حنانها ، والخـــــلد يومُ لقاء

ياللقلوب لقصة محـــــزونة ... لم تُروَ إلا دُوِّحت بــــكاء

***

شيخ تعيس

ونحن في الميناء نقول وصلنا .. وقبل الرحيل نقول انتهينا ، ألا ما أبعدنا عن النجاة ونحن في حضن الشاطيء !!.

قد يهون العمر إلا ساعةً وتضيق الأرض إلا موضعا

ألا أيها الشيخ لا تبتئس .. أفض علينا من حديثك الحزين علّك تروح عن نفسك ما تكابده .

مضت سنتان من عمر الزمان .. أربعة وعشرون شهراً حانياً صافيا تلتها أيام عجاف وليال جفاف .

في قصتك سلوى ، وفي نظرتك عِبرة ، وفي دمعتك نظرة وفي رعشتك ألم ، وفي ألمك صبر مكدود .. هوّن عليك أيها الشيخ .. فما أديم هذه الأرض إلا من هذه الأجساد !.

عِشتُ عمري فقيراً أكدح .. أحفر الأرض البخيلة لتخرج لي قطرة ماء .. أنتظر الشهر تلو الشهر حتى أوقد في داريَ النار .

أرقب السحابة البيضاء لا أدري أم السوداء أيهما تجود بالقطر من وابل السماء ، فهل لمُعدَم مثلي أن يبحث عن وليف ؟ ، وهل لمحروم مثلي أن ينتظر رفاهية الحب ؟ .

كلا .. إن أمثالنا ممن تقطع عنهم الأرض خيراتها لا يحلمون بنظرة حانية أو بكلمة رقيقة أو بلحظة صدق وإخلاص ووفاء .. إن أقصى ما يتصوره المساكين أن تعطف عليهم الأقدار بلقمة أو مذقة .

ومضى سبيل الزمان الذي لا يتوقف ولا يرق لمظلمة مظلوم حتى أكملت الخمسين ربيعاً وقلبي مازال طفلا بريئا يخشى أن يتمنى أو يحلم وهو في حِسبة الدنيا من الكادحين والمكدوحين .

لكنّ الغريب والشيء العجيب أن القدَر لمس بيديه - إذ هي حانية حيناً - شعرات مفرقي البيضاء فعثرتُ بامرأة كأنها أمومة الأرض وصفاء السماء وعذوبة الجداول .. رضيتْ أن ترافقني في رحلتي ، أو - قل أيها الفيلسوف - رحلتي الباقية .. في طريقي إلى الشيخوخة والضعف والوهن وانحناء الظَهْر .. وما يرافق ذلك من خوف وقلق الزاد وبُعد السفر وهول المُطّلع !.

وبدأتُ بمقدمها إلى خريفي أجد رائحة الشباب وأشم نسائم الربيع ، وللقلوب بعد الضنى ربيعها ، وللصادي بعد الهواجر مرتع !.

والتقيت بها وكان اللقاء بلا موعد .. كما كان الرحيل بعد ذلك بلا إنذار ! ويالمرارة فجاءة الرحيل ويالعذابه المُحرِق !.

أحبتني وأحببتها وتزوجنا وآوينا إلى ركن ظليل من الحياة نرشف كؤوس الحب الصافية ونستعذب آهات الهوى ونخلد إلى دوحة النعيم الروحي العذب .

ومرت الأيام تتعقبها الليالي تذروها رياح العمر حتى وصلنا إلى النهاية ونحن بعد لم نصل بأفواهنا المتعطشة إلى منتصف كأس الحب والنعيم والرضا .

مرضت علَقة قلبي وحبة فؤادي وسامها المرض صنوف الألم وعاشت ليالى طويلات تخفي عني مرارة ما تعانيه خشية أن تذيقني سياط الخوف والحزن والقلق ، لكني حين عجزتْ عن حبس الآهات أسرعت بها إلى من يداوون الأجساد العليلة وقلبي ينزف بدل الدموع الدماء الحارة خوفاً عليها وشفقة .. وجزعاً وفَرقاً من أن أفقد سعادتي معها إن بارزني الموت بسيفه المُسلّط على

رقابنا ، فأخذها مني عنوة وأنا لا أملك له دفعاً ولا حيلة تحول بينها وبينه ، وللمنايا مناجل باطشة تحصد بها رؤوس العباد، الضعفاء منهم والأقوياء، الفقراء منهم والأغنياء ، الأذلاء منهم والأعزاء ، قليلي الحيلة وواسعي القدرة

وسرتُ حاملاً إياها على كتفي المكلودتين إلى حيث تنتهي الحياة وتُدفن الورود ويختلط الحابل بالنابل .. إلى خزائن الموت وحدائق الفناء .

وأنزلوها من عاتقي الكسير إلى قبرها الصغير وألقيت على بدنها الذي مازال دافئاً نظرات ولِهٍ خرجت حائرة وسط دموع ثائرة .. وتركوني ومضوا وبيني وبينها حاجز منيع من الرهبة والصمت والوحشة .. وسط تلك القبور المتراصة والمشاهد المتناثرة ، فياليتهم حشروني معها لأونس وحشتها وأهدئ روعها ، لكن ليت تُقتل على جُدُرِ القبور بينما يُغرِق الدمع الثرى ! .

***

وسط العباب

قف يا فؤادُ على المنازل ساعا ... فهنا الشباب على الأحبة ضاعا

وهنا أذلّ إباءه متكبرٌ ... أمرت عيون قلبه فأطاعا

أحسست بالداء القديم وعادني ... جرح أبيت لعهده إرجاعا

ومشى مع الأمل الذهول كأنما ... طارت بلبي الحادثات شعاعا

كثرت عليّ متاعبي فمحونني ... ومحون حتى السُقم والأوجاعا

يامن هجرت لقد هجرت إلى مدى ... فإلى اللقاء ولن أقول وداعا

***

رَجل مكسور

كنتُ وصديقي كفرسي رِهان تنافسا على كل شيء حتى أحبا فتاة واحدة .. لكنها لم تكن أبداً لتحب اثنين كما أن قلبها لم يكن أبداً لي .. رغم كل ما فعلته من أجلها .

تعبت تيهاً في غربتي .. وحبها في قلبي .. فمن فوّق في الدروب دمي ؟ ، فودت ضلوعي لجرح صديقي وجعلت همه همي .. لما شعرتُ بحبه لها كسرت نفسي وغنيت لهما رغم جرحي وحملت حبهما بين جفوني.

خبأت حبي لها في أعماقي وسعيت في حبه لها بكل صدق وشرف .. كنت أخطط لأجمع بينهما في لقاء تلو لقاء وأودعهما بيسماتي ثم أخلو بنفسي أبكي حبي المخنوق السجين وأمسح دمعي الكسير وأنهض بكل إخلاص له لكي أصلح بينهما في كل موقف يختلفا فيه حتى تكللت مساعيّ بالنجاح وزففتهما إلى بيتهما بنفسي راقصاً راسماً الفرحة على شفتيّ .

وأقفلت قلبي عليها فما استطعت أن أحب سواها .. لكنني سافرت بعيداً بمواجعي وتركت الوطن بما فيه لهما .

ومرت سنوات عشر ورجعت بعد لأواء الغربة ومواجع الوحدة وكلي شوق لها .. كنت أتمنى أن أراها ولو مرة واحدة من بعيد .. وكم تمنيت أن أجد هيأتها التي أحببتها قد تغيرت حتى يزول سلطانها على قلبي .. لكن هيهات أن يمنحنا الزمن شيئاً مما نتمناه ، مما يريح أفئدتنا الجريحة .

وجدتها أبهى مما كانت حُلةً وجمالاً وزينة بل وقلباً وروحاً .. لكن صديقي الذي فضلته علي كان قد سرح بقلبه بعيداً عنها .. عرف عليها نساء كثيرات

وهي كالعصفور الوديع لا تعلم شيئاً عن عبثه بين النساء ، وخفت على قلبها الهادئ فلم أشأ أن أثير فيه البراكين وهي المحبة لزوجها وتعده حبيب الماضي والحاضر ، وهو بلوره يتقن التمثيل ويروغ من إخلاصه لها كما يروغ الثعلب .. يأكل أطايب ما فيها ويرميها بسهام الغدر والخيانة .. ولم أحتمل ما أرى .. وما لا أستطيع إصلاحه .. لم أستطع أن أراها تُخدع وأنا مكتوف اليدين فهربت للمرة الثانية إلى منفاي البعيد وكلي عزم على أن لا أرجع حتى يمحوها الزمن من سطور قلبي الولهان المُتيم .. الظمآن المُعذَّب .

لكن الزمن قسا عليّ قسوة جديدة فحرمني نسيانها وسلواها ومرت سنوات أخرى صعبية عليّ بدأ الشيب فيها يغزو مفرقي ، وأخذ الحزن يحفر آثاره على شغاف روحي فكنت أحس وأنا في الأربعين بأني في الستين .

وبينما أتصفح جريدة وطني ذات صباح وجدت فيه خبر نعيه في صفحة الوفيات .. فلا أدري أكان ما بلل خدّي من دمع حزناً لوفاة صديقي القديم أم فرحاً بزوال غريمي الذي تحطمت بسببه أحلامي في حبي لفتاتي.

رجعت إلى الوطن وكلي شوق للقياها وكلي يقين بأن ثيابها السوداء لن تزيدها إلا جمالاً وبهاءً .. وذهبت من المطار مباشرة إليها .. فقابلتني وقد كللها الحزن بتاجه الأسود .. لكن عينيها بدتا وقد فقدتا بريق السعادة وقد اتشحت بوشاح الترمل والانكسار .

وواسيتها وقلبي ينزف حزناً لحزنها وألماً لإحساسي بأن حزنها على رجل لا يستحق كل هذا الحب والوفاء والإخلاص وهو الذي خانها مرات ومرات .. وأخذت تبكي بدموع غزيرة ذلك الراحل العزيز والفقيد الأثير وقلبي يئن تحت وطأة دمعها الوفي .

وظللت بقربها أياماً وشهوراً أرعاها وابنتيها اليتيمتين وقد جعلت من نفسي أباً لهما في كل ما تحتاجانه رغم أنه تركهن ميسورات الحال ، وأخذ الحب الساكن في قلبي الناهض بهواها يستنهض فيّ الهمة لأظهر لها مشاعري الحبيسة منذ سنوات طويلة .. وأخيراً .. حُلت عقدة لساني وعبرت لها عن حبي الأصيل لها منذ سنوات الشباب الأولى وكلي أمل أن تُقبل عليّ بعد أن اعتقدت أن غريمي قد زال بلا شك من طريقي وأن السبيل صار ممهداً أمامي لأحيا بعد طول معاناة ولأستروح بعد طول الشقاء .

لكني فوجئت بها تقول وقد رفعت إليّ رأسها ورأيت الدموع في عينيها :

- لا تظنن يا صديق الأيام الخالية أن صديقك قد رحل عني ، إنه في كل ركن من أركان المنزل يحوطني بنظراته كأنه يمتلك كل شيء في وإن بات رهين التراب.

إنني أسيرة حبه ورفيقة عمره ولن أخونه حتى وإن كان قد فارقنا معشر الأحياء .. فإنه مازال حياً في قلبي يمسك بزمامه ويحوطه بسياج من مودة وعرفان .. لكنك ستظل أخاً وفياً يرعى صديقه ميتاً كما رعاه حياً .. أليس كذلك يا صديقي ؟! .

فلم أجد ما أقوله لها سوى السلام .

وخرجت من عندها وأنا أشعر ببرودة شديدة تلف جسدي وتعصف بنفسي ورجلاي تهمان بالعودة إليها لأبلغها كل ما أعرف عن سيرة الراحل الوفي .. لكن نفسي التي تعودت ثبات الجبال الرواسي أبت علي أن أهدم عليها محراب حبها فأعذب قلبها البرئ ، وأن أزعج ذلك الراقد في مثواه لا يستطيع رداً ولا جدالاً .. ولو خرج لقال لي :

- ارجع إليها فخذها بين ذراعيك فهما أحق بها من ذراعي اللتين ضمتا غيرها عشرات العشيقات .. ولم ترعيا لها جميلاً ولا وداً .. أجل أكاد أقسم أنه كان سيقول لي ذلك وهو في دار الحق وكفاه ما كان منه من باطل في دار الباطل.

وثويت إلى نفسي أُلملمها وأجمع أشتاتها .. وفارقت طريق حبيبتي مكسوراً مهزوماً وأنا أتعجبِ من قلبي الذي مازال يهتف باسمها الحبيب وهي لم تشعر به لحظة .. ولم تداوِ له جرحا ولم تُسكت له أنينا .. فما قولك في مثَلي ومَثلها أيها الفيلسوف ؟.



ليلة العاصفة

وليلةٍ بات من أهـــوى ينادمني ... ما كان أجمله عندي وأجمـــلها

بتنا على آية من حسـنه عجبٍ ... كأنه من خـــفايا الخلد أنزلها

إذا تساءلتُ عما خلف أسطرها ... رنا إليَّ بعيـــــنيه فأوّلها

مصوباً سهمه مستـــشرفاً كبدي ... مستهدفاً ما يشاء الفتكُ مقتلها

يا للشهيدة لم تعلم بمصــــرعها ... ما كان أظلم عينيه وأجهـــلها

حتى إذا لم يدع منها سوى رمقٍ ... عدا على الرمق الباقي فجندلها

وصدّ عنها وخلاها وقد دميت ... في قبضة الموت غشّاها وظللـها

وحان من ليلة التوديع آخــرُها ... وكان ذاك التلاقي الحــلو أولها

ضممتها لجراحــاتي التي سلفتْ ... إلى قديم خطايا قد غفــرتُ لها

***

ليلة الفراق

وُلدا في بيت واحد .. وتربيا معاً .. ظللتهما سماء واحدة ، وظروف واحدة .. وكانت أسرتاهما أسرة واحدة .

ونشآ معاً وقد اجتمع قلباهما الغضّان وتناغما على وتر واحد في نسيج من الحب والتعانق والتفاهم .. وأنّى لما وصلته أيدي الطفولة البريئة أن تفصمه الأيام الغادرة !!.

وكبرا معاً والآباء يشهدون تطور حبهما الطاهر ونموه مع مرور سنوات عمرها ويباركون قلبيهما الملائكيين .

لكنّ الأيام لا تفي بعهودها ولا تصل ما وصلته القلوب فقد ورث والدها ميراثاً ضخماً وصار بين عشية وضحاها من الأثرياء الذين يُشار إليهم بالبنان ، وانتقلت بأسرتها إلى منزل آخر بحي آخر وتركت لديه قلبها وأعطاها قلبه وديعة لا تُسترد .

وصارا يلتقيان باستمرار في الجامعة حبيبين حالمين لا يدريان ما تخبئه لهما صفحات الأيام .. وفجأة أخبرها أبوها في ليلة كالحة أنه قد تقدم لها خاطب وأنه مناسب لها ولمستواها وأنها ستُزف إليه فور انتهاء الدراسة فرفضت بشدة وذكرته بحبها لفتاها الذي تربى معها وتغلغل حبه في كيانها وكان هواه شمسها وقمرها وفجرها .

لكنّ أباها انتهرها وزجرها بشدة وأخبرها بأن تعتبر الموضوع منتهياً وأمرها أن تعد حبيبها من الأموات .. ومنعها من دخول الامتحانات حتى لا تراه مرة أخرى وأسرع بتزويجها .. ولو أنصف في حقها لعلم أنه بهذا الزواج قد قتلها

وذبح الحياة في روحها التي كُتب لها منذ تلك اللحظة أن تكتب في ديوان الأشقياء.

ومرت السنوات تجر أذيال الهموم والعذاب على الحبيبين فقد حرّم حبيبها على نفسه النساء بعدها وظل مقتنعاً بقلبه المسكين أنها مِلكه وحده وأن قلبه حرام على غيرها .. كما حرّمت نفسها على زوجها لأنها أُرغمت عليه إرغاماً ولم تكن لتبيع جسدها وظلاّ سنوات في هذا العذاب والحرمان .. ألا ما أتعس الإنسان بمن حوله !، ألا ما أشقى المحبين بمن لم يذوقوا الحب ولم تلفحهم نيرانه !.

وكم تمنت أن تراه ولو مرة واحدة ثم تموت بين يديه ، كم تمنت أن تلقاه لتخبره أنها مازالت وفية له وصامدة أمام الأيام والظروف وأن الفراق لم ينتزع حبه من نفسها وأن السنوات العجاف لم تُنسها حلاوة سنوات الطفولة وأحلام البراءة .

وكأن القدر قد رحمهما وتعرّض لهما بنفحاته .. فالتقيا صدفة في نفس المكان الذي تعودا أن يلتقيا فيه منذ صغرهما .. ذهبت ترتاح من وهج الحرمان في فيء أيكتهما فوجدته جالساً تعبث أصابعه بالأغصان المتكسرة تحت قدميه والتي شهدت قصة حبهما في مهدها .

وكأنهما جاءا على غير موعد يختطفان من الزمن لحظات معدودة بعد أن سرق منهما أحلامهما البسيطة ، والتقت عيناهما بعد شوق السنين فوجدا فيهما حنين الماضي ولهفة الحب القديم الذي مازال مشتعلاً لم يخبُ ولم تنطفئ جذوته.

ومشيا جنباً إلى جنب يتناجيان في نفس طريق حبهما القديم وتواعدا على أن يلتقيا من جديد دون خوف من أحد فوعدته أن تُطلّق من زوجها الذي لم تجد معه أي طعم للحياة واتفقا على أن يعيش كل منهما للآخر ما بقي لهما من أجل .. لكنهما لم يكونا يعلمان أن الأجل قد حان وأن القدر لن يسمح لهما بأكثر من هذا اللقاء الخاطف بعد سنوات الشقاء الطويلة .

عبرت سيارة مسرعة فدهمت الحبيبة الوفية ويدها متشابكة في يد حبيبها وفاضت روحها في أحضانه المحروقة فصرخ صرخة رهيبة مُدوِّية وضمها إليه بشدة وصمم على أن يحتفظ بها لنفسه رغم أن الموت أخذها منه ، فحفر لها قبرها بيديه المعطرتين بدمائها تحت الأيكة وغطى جميع جسدها ثم قبلها قبلة أخيرة كادت تزهق معها روحه وأهال عليها التراب .. ثم ارتمى فوق قبرها يبكي وينتحب ليال عديدة حتى رحمه الموت فضمه إلى خزينته وبقى جثمانه مكشوفاً للرياح حتى إذا مر عابر سبيل رحم ذلك المسكين فواراه التراب وجمع بين الحبيبين الموت إذ لم تجمع بينهما الحياة ! .

***

غرق الغالية

أيكـــــــون ذنبي أن رفعـ   ـتُك وارتفعتُ إلى السـماء
وعلى جناحـــك أو جنا   حي قد رقيتُ إلى الصـفاء
إن كان حقاً أو خيـــالاً   فهو وثبٌ للضيـــاء
وتحررٌ مما جنـــاه طينُ   آدم في الدمـــاء
أيكون ذنبي أن جعـــلـ   ـتُك فوق عرشٍ من سـناء
وجثوتُ في محـــراب قُدْ   سِك عابداً هـــذا الرُّواء
أيكـــون ذنبي أنني   بك أحتـمي من كل داء
وأراك عافيتي فأضـْـ   ـرعُ طالباً منك الشـفاء
أيكـــون ذنبي أن أراك   لخاطري قبســاً أضاء
وإليكَ شكـــوى القلب نجـ   ـوى الروح أجمعَ والنـداء
أيكون ذنبي أن حـــبك   لي من الدنيا وقـــاء
فإذا رضيتَ فإنّ نعمـ   ـتها وقمتَها ســواء
إني [illegible]تكَ ما طلـ   ـبتُ على محبتيَ الجـزاء
قد كان عندي عِـــزةٌ   بصبابتي ولي احتـماء
إن لان عـــودي للخطـ   ـوب شـددتَ ازري باللقاء
يالَلهوى لا صبـــح لي   إلا هواك ولا مســاء
أشوامخُ الأحـــلام والـ   ـمُثل الرقيقة كالهـباء

غالية الزهيدة

كان شاباً ثرياً من عائلة عريضة الجاه لا يعرف أن في الحياة ثمة شظف أو خشونة ، لا يعبأ من الدنيا إلا بما يملأ نفسه الطامحة من متع رخيصة تكلف الكثير ، اشترى له والده سكناً فاخراً في أرقى الأحياء في العاصمة ليعيش فيه دارساً في الجامعة وبعث إليه بمن يخدمه ،رجل في كهولة عفية ومعه ابنته الصبية.

وشبت الصبية وهي لا ترى من الرجال سواه، فعشقت شبابه وفتوته وأحبت حياته وبهجتها وشغفت بطلعته ووسامته حباً صامتاً لا تفصح عنه إلا بالنظرات الخفية وبالمسارعة في تلبية أبسط الطلبات وأحقرها كتنظيم غرفته وشراء دخانه وتطهير حمّامه وتلميع حذائه وغسل جواربه وتقليم أظافره !! .

ورغم وقوفها بين يديه جُلّ يومه إلا أنه لم يكن يراها فما هي إلا خادمة مُستأجرة وأسيرة عانية من جملة الأشياء التي أفاض بها عليه والده .. لكنه كان بالنسبة لها كل شيء في حياتها البسيطة الجافة .. وهبت قلبها ورضيت لنفسها بالعناء الصامت .

كم رأته وهو يصطحب لمسكنه أجمل الفتيات ، وكم ظلت ساهرة تخدمه وهو يهنأ أمامها بين القبلات واللمسات والعِناق .. وكم رأت بعينيها اللتين أذبلهما السهر وضن عليهما الكرى ذِلة أبيها بين يديه خادماً .

ومات أبوها وقلبه يرتجف خوفاً عليها من شيطانه ومجونه ، مات فجأة فلم يمهله القدر حتى يردها لبلدها لتحيا كما تحيا قريناتها وأترابها فقيرة بائسة لكنها شريفة طاهرة .

ولم تدر الفتاة بعد وفاة والدها كيف تدبر حياتها إن هي رحلت عن ذلك الفتى العابث .. فهي تحبه رغم أنه في غفلة عنها بحياته الماجنة .. وتعودت على القرب منه وألفت خدمته بل ألفت أن تعيش تحت قدميه .. وازداد الفتى في غيه إذ رآها تنمو أمام عينيه فائرة مفاتنها فسول له شيطانه أن يتخذها خِدْنة له .

ورغم أنها من بيئة ريفية تعرف مصير من تُفرط في شرفها إلا أن حبها الجارف له أعماها عن أية تقاليد أو أعراف فسلّمت له نفسها روحاً وجسداً ، وكما تعذبت بغفلته عنها تنعمت بقربه منها والتصاقه بها وسدّت بعشقها له أذنيها عن وخزات ضميرها مع تيقنها أنها سائرة حتماً إلى مصير لابد منه .. مصير مظلم لابد لمثيلاتها أن يسرن إليه .. وكان يقينها يخبرها بأنه لم يكن ليعترف بما فعله معها يوماً .

وحملت منه .. وأخبرته والخزي يلفها فأمرها بكل صلف أن تتصرف فهو ليس مسئولاً عن أي شئ بل قال لها بكل قسوة .. أنظري من أين جئت بهذه الخطيئة ؟ .. إن أصدقائي معي دائماً وأنا في شغل عما يفعلونه .. فلترمي مصيبتك على من تشائين منهم .

ورغم ذلك ظل قلبها ينبض بحبه لم تستطع كراهيته ، وأعطاها مالاً لتُخلّص نفسها من ذلك الجنين الرابض في أحشائها .. وبالفعل استطاعت أن تتخلص من ذلك الجنين ، واستخدمها بعد ذلك لإرضاء نزوات أصدقائه لييسر مصالحه معهم .. وسلمت نفسها لكل منهم إرضاءً له .. كانت تعتبر نفسها ملكاً له يفعل بها ما يشاء .. واستغل بذكائه حبها له فصار يكافئها على امتثالها لأوامره كلها بقبلة محمومة أو بفستان زاهٍ .. ورضيت منه بأقل القليل وسخّرت حياتها من أجله حتى وهي تراه يضم إليه كل يوم فاتنة !!.

وتخرج من الجامعة وصار طبيباً يصعد سلم المجد كل يوم درجة .. وأصرّ على أن يبقيها بجواره فمن أين يجد مثلها خادمة أمينة لا تكلفه شيئاً ولا تطلب شيئاً .. بل لا يكاد يشعر بوجودها إلا إذا أرادها أو اشتهاها .

وتزوج من فتاة تحاذيه مكانة وأسرة ومالا وجاها وصارت تخدم زوجته مثلما تخدمه رغم غيرتها الشديدة منها .. لكن تلك الغيرة ظلّت بجوفها وبأعماق أعماقها فمن تكون هي حتى تغار على مثله ؟!، وشاءت الأقدار أن تكتب خاتمة سوداء لحياتها السوداء ونهاية مؤسفة لحياة مؤسفة.

فهل كانت تظن تلك الماجنة العاشقة أن الله لن يكشف سترها وأنه تعالى سيغفر لها فجورها وتسليمها نفسها للرجال دون وازع دين أو خلق ، اللهم إلا حباً في ذلك الحبيب العاهر المستبد ؟!.

عرف ابن عمها بمكانها بعد بحث مُضنٍ فذهب إليها ليعود بها إلى بلدهما ويتزوجا فقد كان يظن أنها مجرد خادمة لذلك السيّد الذي اشتُهر والداه بالخلق الحسن وبالتورع عن المحرمات وبالحج كل عام .. فإذا بسيدها يرفض إعطاءها له زاعماً أنها خادمته الخاصة المدربة على خدمته فشعر ابن العم بذكائه الريفي أن في الأمر سراً .. فترك المنزل ومكث بمنزل غير بعيد وراقبها فترة طويلة فوجدها تنزل مع أصدقاء ذلك السيد إلى شقق متفرقة فصعد خلفها ذات مرة إلى شقة من تلك الشقق وفاجأها في مشهد يندى له الجبين الحر وتخجل عن وصفه الكلمات ، فأخرج سكينه وطعنها طعنات متتالية أصابت مقتلها ثم فر هارباً إلى بلده .

واستلم سيدها الأناني الماجن جثتها فأبت أثرة نفسه أن ترحم ضحيته الشقية فعبث وزملاؤه الجراحون بأعضاء جسدها فأخذوا منها ما يمكن بيعه بأغلى الأثمان ثم تركوا بقية الجثة للدارسين في المشرحة .

ألا ترى أيها الفيلسوف أن الله قد انتقم من تلك الزهيدة التي كتبت في ديوان المواليد غالية وسجلت في ديوان الأموات بخسة زهيدة حقيرة .

ألا ما أسوأ الجمال حين يكتسي إهاباً من الخسة والذلة والانحراف والعربدة ولو عرفت تلك الفتاة معنى الحب الحقيقي وأنه سمو لا انحطاط لما فعلت تلك الأفعال الشنعاء ولما ابتذلت من أجل ذلك الحبيب الدنس .. فحرام على مثل تلك الفتاة أن تحسب من زمرة أولئك الذين عرفوا قدسية الحب .

***

ثورة البحر

ومضى القطار ..
والعمر يدفن بعضُه بعضا ..
عشر حيارى ثم عشر للأسى
وختامها عشر الأماني الضائعات
العمر أصبح بين أيدينا بقايا من رفات
ونظرت حولي ..
لم أجد أحداً يبادلني الكلام ..
فالناس ماتوا أو أصيبوا بالجنون ..
ومضيت أصرخ في القطار ..
الجنة الخضراء والفقراء والجوعى
وحلم الأمس .. صيحات البطون ..
الناس حولي يضحكون ..
ورأيت أعينهم كبركان يحاصرني
وتداخلت في العين ألوان الصور
النمل يعبث في ثيابي

والدماء تسيل من رأسي

وأفواج الذباب تحيطني

والناس حولي يضحكون

ألقيت نفسي فوق قضبان القطار

ومضيت أصرخ كيف ضاع في هذا الدمار

جثث الضحايا والأماني الضائعات ..

على دروب الانتظار ..

مازال يجذبني القطار ..

وتجمعوا حولي وصاحوا :

ضلّ عن دين الفريق

خلعوا ثيابي أحرقوها في الطريق

ورأيتُ نفسي عارياً

وأخذت أجمع بين ضحك الناس

أشلائي .. وهم يتساءلون

قد كان يوماً عاقلاً ..

سرقوا ثيابي أحرقوها

ثم راحوا يضحكون

ورجعت وحدي بالجنون

ورجعت وحدي بالجنون !!

***

الرغبة المجنونة

عجيبة تلك النفوس .. تجمع ألواناً من المشاعر المتضاربة والأفكار المتحاربة .. فقد يستبد الحب بالقلب حتى يمتلكه ويسيطر على صاحبه وحينئذ يفر العقل من ذلك الكيان .. وقد يتحول الحب ساعتئذ إلى رغبة محمومة مجنونة تحول صاحبها إلى حيوان مسعور كل همه أن يمتلك فريسته ويلهو بها ويفترسها حين يثور بركان النهم والجوع بداخله وما أشبه الإنسان بالوحش الضاري إذا استبدت به الرغبة وخانه الخبز وضل في دروب الرذيلة وارتمى في أحضان الشيطان !.

أحبها حتى الجنون ، والحب عند الفقراء كل الحياة .. لكنه رفاهية لا يقدرون على دفع ضريبتها وفي نفس الوقت لا يملكون حرية الخروج من دائرة ذلك الحب فهو الشيء الوحيد الذي لا يباع بالمال ، والمال لا يعرف طريقه إلى أيديهم الخشنة وأعشاشهم الحقيرة.

وتقدم لخطبتها فرفضت أمها طلبه لأنه فقير معدِم مثلهم وطالما تمنت لابنتها مستقبلاً خيراً من حاضرها الكريه وتراه - رغم قوته - غير قادر على كسب لقمة عيش ناعمة لابنتها الوحيدة اليتيمة فكيف ترضى به ؟!.

وأحبته الفتاة وصارا يتقابلان كلما غابت عن عين أمها .. لكنّ ضميرها كان متوتراً في صدرها خوفاً من أعين الناس وألسنتهم .. وحتى يهدئ ثورة ضميرها اقترح عليها أن يتزوجا دون علم أمها .. في البدء رفضت لكن حبها له جعلها ضعيفة أمامه .. فوافقت بعد تمنع وقد قيل : يتمنعن وهن الراغبات !!.

وقص على صديقه ما نوى عليه فعرض عليه صديقه حلاً لمشاكله .. قال له : هناك ثلاثة رجال أعرفهم طلبوا مني فتاة لليلة واحدة .. وسيدفعون لك عشرين ألف جنيه .. فهل تقبل ؟ .

ثار على صديقه القوّاد لغيرته على حبيبته لكنّ صديق السوء أطال من الكلام المسموم وصار بريق المال يلمع أمام عينيه .. وسوّل له شيطانه بأن الرجال سينالونها ليلة واحدة لكنها بعد ذلك ستكون ملكه وحده .

وبدأت نفسه الأمارة بالسوء تحبك له اللعبة .. سيتزوجها دون علم أمها ويهربان معاً إلى بيت أمه العمياء المسكينة ويبيت معها ليلته في نعيم حبها ليهدئ سعار رغبته ثم يسلمها في اليوم التالي للرجال ويقبض المال ثم يستردها بعد ذلك لتكون له طوال العمر .. وأسرّ لصديقه بأفكاره وخواطره الخبيثة فباركه صديقه وذهبا إلى الرجال واتفقا معهم على كل شيء وقبض منهم عشرة آلاف جنيه (نصف المبلغ) ووعدوه بأن يدفعوا بقية المبلغ بعد انتهائهم منها..

وبالفعل تزوجها في بيت أمه ثم مرّ عليه صديقه في الصباح باكراً فقال لها : هيا بنا .. صديقي أحضر لنا مفتاح شقته الخاصة لنقضي بها شهر العسل يا حبيبة العمر .. فرحت به كثيراً وسارت معه وهي في غفلة عما خططه لها .. ووصلا إلى الشقة وأدخلها واستأذن منها ليحضر لها بعض الطعام والشراب .

وفوجئت بعد نزوله مباشرة بثلاثة ذئاب بشرية يقتحمون عليها الشقة فصرخت ولا مجيب واستغاثت ولا مغيث .. وأخذوا منها مآربهم واحداً تلو الآخر في وحشية وضراوة وتركوها عارية أمامهم تتلوى من الألم .. وفجأة أحضر أحدهم سكيناً وذبحها دون رحمة لتوسلاتها ثم استلوا بأيد مُدربة قرنيتها وكليتيها وفروا هاربين ببضاعتهم وتركوها في بركة من الدماء .

وفي الصباح التالي ذهب حبيبها الأثيم إلى الشقة أخذ يدق الجرس ولا مجيب فاستجمع قوته وحطم الباب فإذا به يجدها جثة غارقة في الدماء عارية من الثياب مقطعة الأوصال فأخذ يصرخ بلا وعي حتى التف حوله سكان المبنى وجاءت الشرطة وهو مازال في هيستريا صراخ وضحك .

ونقلوه إلى مستشفى المجاذيب بعد أن اختل عقله وصار بلا ضابط .. وهاهو في عنبر الحالات الخطرة يخلع ثيابه باستمرار موهوماً بأنه سيغطي حبيبته بها ، وصار عبرة لكل من تخلى عن نخوته ورجولته وباع شرفه ! .

***

بين الأمواج

ماذا أخذتَ من السفر
كل البلاد تشابهت في القهر
في الحرمان . . في قتلِ البشر
كل العيون تشابهت في الزيف
في الأحزان . . في رجم القمر
كل الوجوه تشابهت في الخوف
في الترحال في دفن الزَّهَرْ
صوت الجماجم في سكون الليل
والجلاد يعصف كالقدر
دم الضحايا فوق أرصفة الشوارع
في البيوت . . وفي تجاعيد الصور
ماذا أخذت من السفر
شاهدتَ أدوار البراءة والنذالة والكذب
قامرت بالأيام في سيركٍ رخيصٍ للعب
هذا زمان يختق الأقمار
يغتال الشموس
يغوص في دم الضحايا

هذا زمانٌ يقطع الأشجار
يمتهن البراءة
يستبيح الفجر . . يسترضي البغايا
هذا زمان يَصلُب الطهر البريء
يقيم عيداً للخطايا
هذا زمان الموت
كيف تقيم فوق القبر
عُرساً للصبايا ؟
علب القمامة زينوها
ربما تبدو أمام الناس بستاناً نديا
بين القمامة لن ترى ثوباً نقيا
فالأرض حولك ضاجعت . . كل الخطايا
كيف تحلم أن ترى فيها نبيا
كل الحكايا كان آخرها السفر
وأنا . . تعبتُ من السفر ! !

***

باعت أفراحها .. واشترت الشيطان

تزوجت منذ سنوات طويلة وسافرت مع زوجها للعراق حين كان العراق الخصيب ينضح بالخيرات وينثر الدينارات وأنجبت بنتاً وولداً .. كانا أجمل زهرتين ـ وعاشت مع زوجها حياة رغدة .. وقد تجد المرأة الأمان مع رجل لا تعشقه ولكن تعاقب الليل والنهار على عشهما يمنحه دفئاً غريباً وخدراً لذيذاً نادراً ما تجده بين من يذوبون عشقاً ويتأوهون شوقاً .. فقد تعشق المرأة رجلاً يسحرها معسول كلامه لكنها لا تشعر معه بالأمان .. وقد طرحت لنا الحياة أمثلة كثيرة لمثل هذه العلاقات المشوبة بالزيف وعشق اللحظة والنفاق حيث يعتنق العشيق تلك المبادئ الخداعة ليصل إلى غرضه من امرأة ما .. لكنّ الزواج الذي يتشح بالمودة والرحمة والسكن والسكينة والود والطمأنينة والكفاح المشترك والمنزل الهادئ والأفراخ الصغيرة شيء آخر .. ومن ذاق عرف !.

ومرت السنوات ـ وما أسرع مرور سنوات الهدوء ـ ومرض الزوج وعجز عن مواصلة العمل لجمع (المصاري) وصار كالصاري الذي كسرته العاصفة فباءت السفينة بالفشل في رحلتها ، وعاد بزوجته وولديه إلى مرفئه ليموت بين أهله ويدفن في ثرى وطنه الذي يتسم برائحة طيبة لا يشمها إلا من رحل وتغرب وفارق الحواري الضيقة ومهاد الطفولة .. ولم يمهل المرض الزوج كثيراً فسلّمه للموت ذلك الرفيق الأثير إليه وترك الرجل أفراخه في حضن أمهم التي كانت من بعده عوناً لليتم والعيلة عليهم !.

ذلك أنها تعلقت بصديق زوجها الذي كان يعوده في مرضه بعد أن عادوا إلى الوطن ، وتعلق بها هو الآخر وأخبرها بأنه يريدها بمفردها فلن يتحمل ولديها

.. واستطاع بدهائه في عشقه أن يحوّل مشاعرها عن ولديها واقتنعت بوحي منه أن تُدخلهما ملجأ من الملاجئ .

وذهب معها قبل انقضاء عدتها إلى أمها طالباً يدها راجياً منها أن تبارك تلك الزيجة الآثمة .. لكن الأم الرشيدة عجزت عن تصديق ما وصلت ابنتها إليه من شر وقسوة وتبذُّل فرفضت ذلك الزواج بشدة وحذرتها من بطش الخالق المنتقم منها إن هي ضحت بولديها من أجل عشيق حقير مثله لم يرعَ أمومتها ولا ضعف ولديها ولا حرمة صديقه الذي لم يبرد جسده بعد وحذرتها من أن تقلق راحة ذلك النائم في جدثه ـ والذي طالما أحسن إليها ـ بتعذيب ولديه الصغيرين.

لكن تلك الأم التي لا تستحق لقب الأمومة كان العشق قد لعب بعقلها وقلب عندها كل الموازين المعتدلة فتركت أمها وانطلقت مع عشيقها وأخذت الولدين إلى ملجأ قذر حقير فأودعت فيه ولدها في ليلة باردة قرة شاتية .. وكان الملجأ ليلتها فارغاً من نزلائه لأن الإدارة كان ترشه بالمبيدات القاتلة للحشرات .. وتركت المسكين الصغير يصرخ فزعاً وخوفاً طوال الليل في مبنى الملجأ المظلم البارد الرابض في أطراف المدينة .. ولم تشفق عليه أدنى شفقة وهي تراه يمسك بثيابها ويتوسل إليها باكياً ألا تتركه في هذا القفر .. ولكن هيهات أن تستجيب لتوسلاته وخلفها ثعبان يفح في أذنيها واعداً إياها بأحلى الأيام وألذ الأمسيات.

ولم يقبل الملجأ الابنة فذهبت بها إلى ملجأ في بلد آخر يبعد عشرات الكيلوات عن الملجأ الأول .. غير راحمة لدموع الطفلة المسكينة وتوسلاتها التي تقطّع نياط القلوب مع أن الابنة قطعة من أمها .. لكنّ تلك الأم خلعت عنها كسوة الأمومة وتسربلت بزي الغانيات العاهرات .

ثم انطلق العشيق بعشيقته في جوف الليل إلى منزل الأم المسكينة فشوّها وجهها بماء النار الكاوية حتى لا تجرؤ على الخروج من دارها للبحث عن الولدين اليتيمين وحتى لا تقف حجر عثرة في سبيل سعادةٍ زعمها العشيق وتوهمتها العشيقة فهل تُبنى السعادة على أنقاض المعذبين وجراح المشرّدين ؟.. إن الدابة إذ ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه لهي أكثر رحمة من تلك الأم بل هي أقرب إلى نفحات الإنسانية من تلك المرأة العقور !! .

وانطلق العشيق مع عشيقته إلى بلد ساحلي بعيد فعقدا قرانهما وسكنا شقة فاخرة على شاطئ البحر بعد أن أحرقا خلفهما كل سفن الرجوع وقطعا رجاءهما بفعلهما الخسيس في أدنى رحمة من الرحمن الرحيم (إنما يرحم الله من عباده الرُحماء) !! .

ومرت بضعة شهور نفذت بضاعتهما فيها من المال فظهر الوجه الآخر للعشيق الولهان وسقط قناع الحب الذي كان يضعه على وجهه لتلك المرأة الساقطة فطلب منها أن تتسول الأغنياء زاعمة أنها بحاجة إلى غرفة تسكن بها تؤويها ووالديها وزوجها الكسيح العاطل .

ولم تكن المرأة قد تعودت من قبل على المذلة للخلق .. فرفضت مطلبه طالبة منه أن يفعل أي شيء من أجلها بعد أن شوهت أمومتها وأضاعت ولديها وحطمت أمها من أجله .. لكنه قابل حديثها بالسخرية وقال لها بأنها ما فعلت شيئاً من أجله بل من أجل إرواء رغبتها للرجال .. من أجل متعة نفسها .. وعيّرها بما فعلته بابنيها وأمها وأخذ يضربها ضرباً مبرحاً حتى استسلمت وخرجت إلى الطرقات تتسول المارة حتى تجد قوت يومها.

وبعد أن جمعت مالاً يسيراً رجعت به إلى بلدها وأكملت التسول فدارت على معارف زوجها الراحل وأقاربه تستعطفهم ولم يكن أحد منهم قد علم بفعلتها الدنيئة فساعدوها ببعض المال فاستأجرت غرفة حقيرة لتعيش فيها مع ذلك الحيوان المتخفي في ثياب إنسان ـ والإنسانية منه براء ـ وعملت بعد ذلك خادمة في البيوت لتستطيع دفع مصاريف الملجأ لولديها .

وإن قُدّر لك أن تراها يوماً ـ أيها الفيلسوف ـ فسترى فيها شبح امرأة هزمها الشيطان واحتنكها وجعلها ألعوبة في يد شيطان بشري ينتظرها كل ليلة في الغرفة ليأخذ منها كل ما معها من مال ثم يخرج فيشتري حشيشاً ثم يعود إليها طالباً المتعة فإن أبت أوسعها ضرباً بحذائه النتن ثم اغتصبها اغتصاباً وقد يمنعها بعد ذلك من النوم حتى تحميه من لدغات الناموس .. وتظل كذلك حتى تطلع الشمس .. فقل لي بربك أيها الفيلسوف الحكيم الخبير بشئون الحياة .. هل هذا هو الحب الذي يشغف به المفتونون ؟ : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) ﴾ المائدة .. إني أعتقد جازمة أن الحب تضحية وفناء في المحبوب والذي يسمى حباً هو ذلك الذي يبني ولا يهدم ، ذلك الذي يحترم الأديان والمُثل والتقاليد والفضيلة ، إن الحب نعمة ربانية بها يحيا الأحياء ويصبر الكادحون في معترك الحياة.. وإني لموقنة أن أية امرأة سوية المشاعر سليمة الفطرة لتفضل أولادها على أي رجل وإن كان ملاكاً من الملائكة البشريين .. إن المرأة خُلقت لتكون أماً فاضلة وسكناً حانياً.. فإن كان الحب كما فعلت تلك المرأة التِرقة فعلى الدنيا العفاء ! .

البحر المظلم

أنفاسنا في الأفق حائرة . . تفتش عن مكان
جثث السنين تنام بين ضلوعنا
فأشم رائحة
لشيء مات في قلبي وتسقط دمعتان
فالعطر عطرك والمكان . . هو المكان
لكن شيئاً قد تكسر بيننا
لا أنتَ أنتَ ولا الزمانُ هو الزمانْ

***

لا تسألني
كيف ضاع الحب منا في الطريق ؟
يأتي إلينا الحب لا ندري لماذا جاء
قد يمضي ويتركنا رماداً من حريق
فالحب أمواج وشطآن وأعشاب
ورائحة تفوح من الغريقْ

***

العطر عطركَ والمكان هو المكان

واللحن نفس اللحن

أسكرنا وعربد في جوانحنا

فذابت مهجتان

لكنّ شيئاً من رحيق الأمس ضاع

حلم تراجع . . توبة فسدت . . ضمير مات . .

نحيا الوداع. .ولم نكن يوماً نفكر في الوداع. .

لم لا نقول أمام كل الناس ضلّ الراهبان ؟

لم لا نقول بأنه قد مات فينا العاشقان ؟

فالعطر عطرك والمكان هو المكان

لكنني

ما عدت أشعر في ربوعك بالأمان

شيء تكسّر بيننا

لا أنتَ أنتَ ولا الزمانُ هو الزمانْ ! !

***

شئ ما سيبقى بيننا

عرفته في الجامعة وعرفت فيه فتى أحلامها ووجدت في شخصيته ورجولته وثقافته كل ما كانت تتمنى أن تجده في رجلها المنشود .. ويادلها حباً بحب حتى تخرجا من الجامعة فتقدم لخطبتها فعارض أهلها الأثرياء ذوو المكانة لأنه كان رقيق الحال ليس له في الحياة من مقومات النجاح إلا شهادة الهندسة ـ وفي ظنهم ـ أن البلد ملئ بالمهندسين الذين لا يستطيعون الإنفاق على أسرهم لضعف المرتبات وغلاء الأسعار وتعدد الاحتياجات .. وحاولوا إقناع ابنتهم بأن الحب وحده لا يكفي لبناء البيوت وإعمارها .. لكنها قاومتهم بإصرار رهيب وصممت على أن تتزوجه لأنها مقتنعة في داخلها أن الحب يصنع المعجزات وبأن الكفاح المشترك بينهما سيجعل منه شخصية ناجحة وزوجاً محباً عطوفاً يسعدها ويغنيها عن كثير من الرفاهيات التي نشأت عليها في بيت أسرتها .

وكان والدها يحبها حباً عظيماً فهي ابنته الوحيدة التي لم ينجب سواها فرضخ لرغبتها واحترم مشاعرها وأيدته والدتها .. فتمت الزيجة في حفل بهيج حضره كبراء البلد من ذوي الجاه والمال والمناصب .. وأهداها والدها سيارة فارهة بمناسبة الزواج كما أعطتها والدتها مبلغاً كبيراً يكفي لقضاء شهر عسل ممتع في أنحاء أوروبا .

وبعد رجوعهما من أوربا أقاما في شقتها التى أثثها لها أبوها بأفخر الأثاث وبسطها بأغلى الرياش .. وعاشا معاً ينعمان بحبهما الكبير رغم أن مرتبهما معاً كان يكفيهما بالكاد .. خاصة بعد أن بدءا رحلة الإنجاب وقد كان محباً للعيال شغوفاً بالبنين عن البنات وقد حاولت إسعاده قدر استطاعتها في هذا الجانب مع

اهتمامها الكبير بنفسها رغم مقدم الأبناء الواحد تلو الآخر .. وسعدت به كثيراً حين وجدته يقبل على الصلاة والصيام بعد أن كان في بداية علاقتها به فارغ البال من العبادة شغوفاً بالدنيا وملذاتها .. فتعلق بالله تعلقاً شديداً حسدته عليه وصار قدوتها في هذا الجانب العزيز وبدءا يحلمان معاً بزيارة الأراضي المقدسة واستجاب المولى لدعائهما فخرجا في قرعة الحج وسافرا معاً لأداء الفريضة الغالية تاركين أبناءهما عند أمها وأبيها .

وزاد قربهما من الله من حبهما لبعضهما البعض فعاشا في مكة والمدينة المنورة أياماً كانا يرفرفان فيها في الفردوس الأعلى حباً لله ومتعة بالعبادة واتصالاً روحياً عميقاً بينهما حتى أغبطهما جميع من في الرحلة على حبهما الظاهر للعيان وتمنى لهما الجميع دوام السعادة والهناء وراحة البال .. وبعد رجوعهما من الرحلة المباركة بفترة قصيرة فُجعت في والدها الحبيب لقلبها إذ رحل عن الدنيا فجأة بسكتة قلبية وحزنت عليه - وأمها - حزناً شديداً لكن زوجها الحبيب هوّن عليها حزنها كثيراً بحبه لها واحتوائه لقلبها المفجوع .

وترك لها والدها ثروة ضخمة تُقدر بالملايين فبدأت مرحلة جديدة مع زوجها .. أعطته مالاً كثيراً ليترك الوظيفة الحكومية وينشئ مصنعاً كبيراً للمنسوجات وبالفعل تم كل شئ كما أرادت فافتتح مصنعاً كبيراً وصادفه التوفيق وصار ذلك المصنع بما فيه من تكنولوجيا وآلات متطورة صرحاً ضخماً للصناعة في المدينة .. واستطاع بجهده ومثابرته ووقوفها بجانبه أن يفتتح مصانع أخرى ناجحة متميزة تنتج منتجات محلية فائقة الجودة أصبحت هدفاً للمستوردين وصار ذلك المهندس الكادح في غضون سنوات معدودة من أكبر رجال الأعمال على مستوى الدولة .. وكبر الأبناء وتخرجوا من كليات القمة

بنين وبنات وتسارعت كبار الأسر البارزة في المجتمع للارتباط مع رجل الأعمال الشهير بصلة النسب .. وتزوج الأبناء جميعاً زيجات ناجحة وعاشوا حياة رغدة وشغلوا أرفع المناصب .

وبنى زوجها رجل الأعمال عدداً من المساجد الفخمة ومستشفى خيرياً يخدم الفقراء وأقام قناة فضائية تبث البرامج الدينية وتخدم أبناء المجتمع .. وهكذا توالت عليه سلسلة النجاحات وصار يشار إليه بالبنان وعرفه القاصي والداني برجل البر والتقوى والخير والإحسان .. ولم تتغير معاملته لزوجته المحبة يوماً .. بل كان شديد الاهتمام بها وبأبنائه وأحفاده .. لكنّ الدنيا غيرت أشياء ما كانت أبداً في الحسبان ، فوجئت الزوجة المخلصة برسائل تصلها على هاتفها الخاص تخبرها بأن زوجها الخلوق المتدين المحب المخلص على علاقات عديدة مع نساء ممن يعملن في مصانعه وشركاته .

في البداية صارحت زوجها بأمر تلك الرسائل وهي على يقين بأنه برئ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وطبعاً أكد لها أن تلك الرسائل مجرد دسائس من منافسيه ليخربوا بيته ويهدموا سعادتهما التي يحكي عنها الجميع .. وصدقته بالطبع فمرآة الحب عمياء .. والمرأة إذا أحبت وتفانت في حبها وكان حبيبها ذكياً صعب عليها أن تكتشف خديعته .

ومرت الأيام وهي لا تشك للحظة في ولائه المُطلق لها خاصة وهي ترى عبادته وصدقاته ولحيته وتقواه لكن الله أراد لها أن تعرف حقيقته وباطنه فجاءتها امرأة وهو في عمله وروت لها تفاصيل دقيقة عن حياته مع نساء أخريات وأعطتها عنوان شقة يقابل فيها تلك النساء .. وفي نفس اليوم بعثت لها امرأة في ريعان الشباب بصور له معها على شاطئ البحر وفي فيلته في الساحل

الشمالي .. فقررت أن لا تخبره بشئ وراقبته أياماً متواصلة وذهبت إلى الشقة المزعومة وانتظرت حتى رأته يخرج من العمارة الشاهقة في أرقى الأحياء السكنية مع فتاة يقارب عمرها عمر صغر بناته وقد ارتدت ملابس فاضحة تبدي أكثر مما تخفي .. فلم تظهر نفسها له وأخفت عنه ما عرفته وذهبت بعد ذلك إلى تلك الشقة بمفردها ففتحت لها امرأة لعوب وقالت لها بكل وقاحة : أهو أنت ؟ كيف جرؤت على المجئ إلى هنا ؟ فقالت لها الزوجة المخلوعة : من أنت وماذا تفعلين ؟ أليست هذه شقة فلان زوجي الشيخ الوقور الذي يسميه الناس بالشيخ الشعراوي لشدة تدينه؟! فضحكت المرأة ضحكة رنانة ساخرة وقالت لزوجته باستهزاء : أي شيخ يا امرأة .. وأي وقار .. إن زوجك المصون يخلع ملابسه قبل أن يدخل عليّ الشقة !.

فصُعقت المرأة ورجعت إلى المنزل وهي في ذهول تام ورجع الزوج الوقور إلى منزله فواجهته بكل ما عرفت عن حياته الماجنة التي يخفيها خلف ستار من التدين والورع .. فجلس أمامها بكل هدوء وأجابها بكل برود :

- لا أنكر أنك وهبتني كل شيء ولم تضيعي حقاً من حقوقي يوماً ما .. لكن ما أفعله في حدود حريتي الشخصية .. أنا لا أفعل شيئاً في الحرام .. كل ما أفعله في حدود الشرع .. إذا أعجبتني امرأة تزوجتها زواج متعة بضعة أيام أو شهور ثم طلقتها ورجعت لك مخلصاً وفياً طاهر الذيل نقي الثوب .. أنا لا أخدعك .. لكني أتجمل لك .. أليس الكذب على الزوجة من الكذب الحلال ؟! أنا لا أكذب ولكني أتجمل .. وأنت في عيني دائماً وستبقين أجمل النساء وستبقين في فؤادي الحب الأول والزوجة الوفية المطاعة والأم الفاضلة لأولادي .. وأنت تشهدين بنفسك أنني ما فرطت يوماً في حقك ولا في حق أولادي بل وأزواج

بناتي وزوجات أبنائي فماذا تطلبين مني أكثر من ذلك ؟ من حقي أن أتمتع بمالي وحياتي وفتوتي في حدود الشرع .. ولم أكن لأرضَ يوماً أن أجعل لك ضَرة .. كلهن زوجات للمتعة والفراش وحسب .

فما كان منها إلا أن غابت في دوامة من البكاء المرير أسفاً على حياتها معه وتضحياتها المتوالية من أجله وصبرها على فقره في بداية رحلتهما معاً... وصار عقلها عاجزاً عن فهم منطقه في الحياة ورأيه في المتعة وعجزت نفسها الشفافة عن مسامحته بعد أن كسر حاجز الأمان الذي كان يحوطها به بخياناته المتعددة وكرهت كل من يتسربل بالدين واللحية والصلاة وهو في حقيقة الأمر طالب متعة بل أخس أنواع المتعة .

ولم تستطع أن تُشعر أولادها بأي شئ حتى لا تكسر أمامهم الصورة المثالية التي يجلونها في أبيهم .. لكنها تركت له المنزل وذهبت لتحيا في منزل والدها الراحل ووالدتها المتوفاة وزعمت لأولادها بأنها قررت أن تحيا ما بقي لها من عمر في رحاب ربها .. في خلوة دائمة بعيداً عن كل ما في الدنيا .. ولم يكن في وسعها أن تحيا معه بعد أن اكتشفت زيفه وخداعه لها وعدم اعترافه بخطئه في حقها البته .

بل لقد انقلب حبها له كرها لا حد له بعد أن انكسر تمثاله الذي شيدته له بيديها وعاشت تعطره طوال عمرها .. لكنّ كرهها له لم يستطع أن يمحو من ذاكرتها شبابها معه وذكرياتهما معاً منذ عرفته وإلى أن شوه بأفعاله الحقيرة الحلم الجميل الذي كانا يعيشان فيه .. وظلت تلك الذكريات هي الشئ الوحيد الذي يمنعها من لعنه في كل صلاة .. ظلت هي الشئ الوحيد المتبقى لها بعد كل هذا الحب !! .

بعد رحيل العاصفة

نزل الستار فغيم ننتظر   خلت الحياة وأقفر العمر
لم يبق إلا مقفر تعس   تعوي الذئاب به وتأتمر
هو مسرح وانفض ملعبه   لم يبق لا عينٌ ولا أثر
ورواية رويت وموجزها   صحبٌ مضوا وأحبةٌ هجروا
عبروا بها صوراً فمذ عبروا   ضحك الزمان وقهقه القدر

***

أوهام المحبين

أتعرف يا بحري الفيلسوف أن في دوحة الحب ألواناً من الوهم لا يراها الظامئون إلا بعد أن يقتربوا منها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً !! .

قد تجد محباً يهوي ويفني شوقاً ولهفة لكنه حين يعيش الحب يكتشف أنه ما كان إلا رغبة ليس إلاّ !!، وقد تجد امرأة تُخدع بعذب الأحاديث حتى إذا ظنت أنها قد حلّقت في سماء الغرام أظهرت لها الأيام أن من كانت تحبه ما كانت بالنسبة له إلا شيئاً أراد تذوقه أو متعة حصل عليها أو ربما صفقة أراد أن يتمها وأنها ما كانت ـ على صدق مشاعرها ـ بالنسبة له إلا حفنة من المال تمنى ضمها إلى رصيده ليرفع بها خسيسته !.

وقد تجد نوعاً ثالثاً وصورة أخرى في كتاب (أوهام المحبين) .. وتلك هي قصتنا التي نحن بصدد روايتها وسرد أحداثها .. فلتهدئ هديرك أيها البحر العظيم يا فيلسوفي الحكيم لتسمع مني قصتي الأخيرة فإنها عبرة لكل امرأة تريد أن تحمي نفسها من أوهام الحب ! .

كانت من بنات البشوات المعروفين في البلد .. ذوي الأملاك والأطيان والأنعام والثروات والعقارات .. وحين أممت الثورة أملاكهم افتقروا لأقصى درجة وصار والدها بعد أن قصمه الذل بعد العز والفقر بعد الغنى بسيطاً لأقصى حد .. يأتي أفعالاً غريبة ينكرها الناس حتى أسموه (بالعبيط) ولم يكن كذلك ، لكن الدنيا قد كسرت نفسه فأصبح لا يبالي بأحد حتى بأولاده الستة الذين تفلتوا منه واحداً تلو الآخر وكانت هي ممن تزوجن من الفتيات وتركت

المنزل ، وتزوجت من حائك فقير حقير .. وليس الفقر عيباً .. إنما العيب في اقتراف العيب .. كان يعاملها أبشع معاملة ، يضربها بدون سبب ، يعنفها ويسبها ويرميها بأشنع الألفاظ خاصة بعد علاقته الحميمة معها .. سكّير يحتسي الخمر كما يحتسي الماء .

وحاولت أن تلين شكيمته وتهذب أخلاقه فلم تفلح .. حاولت أن تشعر بأقل درجات الحب معه فلم تتمكن .. فكرهته كراهية شديدة .. وفي ظل تلك الكراهية أنجبت أربعة أبناء بنفس النمط في العِشرة والسبّ والضرب والإهانة .

ثم تبدلت أحواله المادية حيث عمل مع أخيه في مصنعه لكنه لم يلبث أن مرض في كبده فعاد أدراجه إلى الافتقار لعجزه عن الكسْب وساءت أخلاقه أكثر لضيق نفسه بمرضه وعجزه وفقره وحرمانه من الخمر بسبب مرضه ، فكانت تطلب المال من أخيه فيمدها به حيناً ويمسكه عنها أحياناً فعاشت في دائرة كبيرة من الذل والهمّ .. وفي خضم تلك الأحداث أعجب رجل ميسور بابنتها فتزوجها دون أن يكلف والديها شيئاً حتى حذاء الفرح ! .

لكن الشهور مرت ولم تنجب الابنة فأصابت الأم المسكينة حالة نفسية حزناً على ابنتها لخوفها من غدر زوج ابنتها بابنتها بسبب عدم الإنجاب ، فأشار عليها ا بعض باللجوء إلى شيخ ممن يتعاملون مع الجن ليخرجها من حالتها النفسية السيئة لكنه استغل سذاجتها فسلّط عليها الجن فآذوها إيذاءً شديداً وبالتالي اقتنعت بحاجتها الماسة المستمرة لذلك الشيخ المعالج .. وفي الحقيقة هو شيخ شيطاني .. وبالتدريج أصبح وجود ذلك الشيخ في منزلها أمراً طبيعياً .

ومات زوجها وتركها مدينة للكثيرين بسبب لجوئه للاستدانة في آخر أيامه لسداد ثمن العلاج الباهظ .. فنزلت للعمل في مصنع للنسيج وهي في الخامسة

والأربعين ومع احتكاكها اليومي بالرجال أحست باحتياج شديد لأن تحِب وتحَب فعملت علاقات متعددة خاصة وأن منظرها العام كان يوحي بجمال أرستقراطي قديم .. لكن كل من أوهموها بالحب تركوها في النهاية لمن هن أقل منها سِناً وأكثر منها رونقاً وبهجة وجمالاً ، بل لقد تزوجها أحدهم شهرين وطلقها.

فتحطمت نفسيتها وصارت عاجزة عن التعامل مع البشر فهجرت بلدها بمن فيه وتركت فيه ذكرياتها المُرة ورحلت إلى بلدها ومسقط رأسها لتحيا قرب قبر أمها وأبيها وصار ولدها الكبير يزورها بين الفينة والأخرى مانحاً لها نفقة أوجبها على نفسه برّاً بها.

وهدأ الله سر ابنتها مع زوجها فأنجبت له ولدين فعكفت هي في مسكنها النائي على عبادة ربها ليكفّر لها خطاياها ويحسن خاتمتها .. وعاشت على تلك الحال حتى أتاها اليقين ، وفرّق بينها وبين أولادها وأحفادها هادم اللذات ومفرّق الجماعات .. فرحمها الله !.

***

الثلاثاء ٣ / ١١ / ٢٠٠٩

المحلة الكبرى

المجموعة الثانية

(وداعا يا توأم الروح)

الإهداء

إلى مجتمعى العزيز..

إلى بيئتى الخصبة بكل غال ونفيس ...

إلى أبنائى الأعزاء...

محمد وآلاء ورفيده ونوران ..

قصص واقعية فى سماء الحياة .. اقتطفتها ورويتها بأسلوبى الخاص لتنفع كل من يرجو النفع وينتظر الفائدة...

والحكمة - كما يقول صلى الله عليه وسلم - ضالة المؤمن .

المؤلفة

حين ينتصر الموت ويتحتم الفراق..

وتبدو غيمة الحياة مظلمة...

هنالك تفترق الأشباح..

وتبقى الذكرى عالقة بالنفوس !!

لبئس ما كانوا يعملون

كان طفلاً.. والطفل فى حاجة الى المحبة والعناية ، مثله مثل غرسة لاتستغنى عن الشمس والماء والهواء.. لكنه لم يجد شيئاً من ذلك ، سحقته الحياة وأظافره مازالت ضعيفه واهنة ، اغتالوا طفولته وكأن تلك الطفولة لم تكن يوماً من حقه ، وُلد يتيماً وعاش يتيماً فريداً غريباً وحيداً ، عاش حياته فى صحراء قاحلة ومات فى صحراء قاحلة .. هكذا كتبت عليه الأقدار .. فيا لقسوة الزمن وبشاعة الأيام، خطفوه من أمه وهى بعد لم تفق من ولادته.. فياليتهم حفظوه ، اهتموا به حين لم يكن على الحجر غيره فلما رزقهم الله بسواه جحدوا نعمة الله وأهملوا رعايته.

كانت تلك الأم - أو الحاضنة - لاتنجب لعلة عارضة فسرقته من أمه الحقيقية فى المستشفى ، وبعد سنتين كان الطفل فيهما ملء العين والفؤاد ، حملت بإرادة الله فانصرفت بمشاعرها كلها لوليدها حين أنجبته ، وأخذت تكيل لذلك الطفل كل أنواع القسوة من حرمان وضرب وتنكيل .. وشاءت السماء أن تنجب مرات أخرى فزادت قسوتها عليه وكأن الشكر المفترض لله قد انقلب جحودا رهيباً ، وعاش يتيماً غريباً بين أسرة تنبذه وتبغضه.. حتى أبيه البديل كان يعامله بجفاء شديد .. ففر اليتيم إلى الشارع يستجدى فيه صحبة الأغراب ويتلهف فيه على عطف الأصدقاء بعد أن فقد عطف تلك الأسرة التى آوته والتى كان يظن ببراءته أنها أسرته الحقيقية فلما أنجبوا غيره أخبروه بأنه لا يمتُّ لهم بصلة فبات غريباً فى دنيا لاترحم ، وحيداً فى عالم ملئ بالقساة فيالهف نفسى على ذلك المسكين الضعيف !.

ولأن الحياة لا تلد للفقراء ، ولا تهب المحرومين إلا حرماناً ، ولا تمنح المحتاجين إلا عوزاً واحتياجاً فقد أسلمته إلى عصابة من الأصدقاء المضلين استغلوا طيبة قلبه وسذاجته فأقنعوه أن يسرق من والده ألفين من الجنيهات ليفروا بها إلى مصيف من المصايف ليروحوا عن أنفسهم.. وأقنعوه بأنه قائدهم ورئيسهم فمسوا بأناملهم نقطة ضعفه وهو المستبعد المنبوذ المحروم من كلمات التقدير وعبارات الإطراء والثناء.

وخططوا ونفذ .. فعل كل ماسولوا له به ، كانوا مجموعة من الشياطين ، سرق المبلغ المطلوب من حقيبة والده ، ولحق بهم في مكان محدد مسبقاً ، وسافروا معاً إلى البلد المقصود ، وفي الطريق تجمعوا عليه كما فعل إخوة يوسف بأخيهم ، طعنوه بسكين حادة عدة طعنات ، ثم فصلوا رأسه عن جسده وفرقوا أوصاله ودفنوه في الصحراء .. وتفرق جسده في رمال الصحراء كما تفرقت أوصال روحه بين قساة البشر ، وفروا هاربين .

فإذا كانت لكل نفس دية " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ (٤٥) " المائدة فعلى من دية ذلك المسكين؟ ، أعلى الوالدين الجاحدين ؟ أم على المجتمع الظالم ؟ أم على القتلة الأشرار؟ ، إن الشر كامن في نفوسنا نولد بدونه ونكتسبه باكتسابنا مهارات الحياة .. وإلا فمن أين يأتي الشر؟!.

يقولون : اطلب الخير من بطون شبعت ثم جاعت ، لأن الخير فيها باق ، ولا تطلب الخير من بطون جاعت ثم شبعت ، لأن الشح باق فيها !.

لقد صاحب ذلك الطفل البائس الأشرار ومصاحبة الأشرار كركوب البحر.. فكانت نهايته على أيدي من صاحب .. نهاية محتومة على يد الحرمان والقسوة والجحود والإهمال والشر .. رحمك الله أيها البائس وجمع روحك المعذبة بأرواح السعداء في دار لاتعرف الشقاء .

شمعة تحترق

قد ينشأ الطفل على التضحية والإيثار ، وتلك تنشئة خاصة ليست متاحة لكل الأطفال ، لأن الأباء متفاوتون فى طريقة تربيتهم لأبنائهم ، مختلفون فى وسائل تقويمهم ، لكنَّ والديه أنشآه تنشئة دينية صالحة ، فخرج إلى الحياة عارفاً بالدين ملتزماً بالتقاليد لكنه عازف عن الدنيا بما فيها رافض لمباهجها وزخارفها مقتنع أن الدنيا معبر للآخرة وليست محلاً للسكن والتمتع والابتهاج يملك أن يستمتع بكل ما فيها لكنه يترك كل شئ بإرادة من فولاذ وقوة لا يستهان بها .

عاش فى حياة والده بعيداً عن فلكه لكنه يعلم كل تفاصيل حياته ، فقد اختار والده العزلة الكاملة عن زينة الحياة ، أما هو فقد تزوج وأنجب وعمل فى وظيفة محترمة.. لكنه رغم ذلك لم يُفتن كما يُفتن غيره بالزوجة أو الولد أو المنصب ، بل كان بارعاً فى ملاعبة الدنيا حذراً من غدرها وسمومها صابراً على مُر مذاقها ، ملتزماً بدينه حريصا على أداء فروضه ، وكأن القدر فى كل هذا كان يهيئه لتجربة خاصة ووظيفة صعبة لايقدر على شَغلها إلا ذوو الهمم العالية والنفوس الكريمة أولئك الذين يصطفيهم الخالق ويمحصهم ويزهدهم فى الدار الفانية ويختارهم لمحبته وجنته وطريقه ، ويجعلهم جنوداً له فى الأرض يقيمون الحق وينصبون ميزان العدل ويرفعون دولة الإيمان .. وتلك هى سبيل أولى النهى والعزائم والتصوف ، وذلك سر إنسانى رفيع وكمال بشرى سامٍ .

" رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) " النور .

ومات والده وبدأ امتحانه الحقيقى ، بدأت تجربته الممحصة ، اختاره الناس ليكون مكان والده يقيم لهم الصلاة ويؤمهم فى شعائر الدين ويعلمهم العلم ويفقههم فى الدين ، واستجاب لهم لأنه يعلم أنهم متعلقون به وبوالده تعلقاً شديداً ، وسار فى طريق والده لا يرجو شيئاً سوى رضا ربه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أخذ يخدم الدين بكل سبيل ، يلقى الدروس فى المساجد ، يعلم الطلبة فى الجامعة علوم الشريعة ، يؤلف المؤلفات القيمة ، واجتمع حوله المريدون والمحبون ، وتهافت عليه الناس من كل حدب وصوب ..كل يريد منه قضاء حاجته .. ففكر فى إنشاء جمعية خيرية تحمل اسم والده الشيخ الراحل وتخدم المحتاجين من كل الفئات .. كان يعلم يقيناً أن ذلك معناه أن يتغافل عن أحلامه الخاصة .. سواء أحلامه فى الترقى فى الجامعة أو أحلامه فى السفر إلى الخارج وجمع المال من أجل أولاده .. ومع ذلك اختار أن يضحى بأحلامه.. مَلك أحلامه ولم تملكه ، سيطر عليها ووجهها لربه ، قرر أن يحيا لآخرته ، نسى نفسه فى سبيل راحة الناس ، ضحى بكل ماكان يصبو إليه قبل وفاة والده من حيث تحقيق مستوى مقبول لأولاده .. إنه لم يطمع أبداً أن يكون مالياً كبيراً أو وزيراً للتربية والتعليم أو عضواً فى مجلس الشعب ..كلا .. لم يطمع فى شئ من ذلك .. فقد كانت الدنيا دوماً بعيدة عن قلبه وخاطره ، لكنه كان يحلم لأولاده

.. لقد اختار هو الزهد فى الدنيا بكل جوارحه ولم يكن يفتنه شئ فيها ، لكنه لم يكن يريد أن يؤنبه واحد من أولاده على تقصيره فى حقه يوماً ما ، ومع ذلك ضحى بكل شئ واختار طريق الله والدار الآخرة .. من علمه التضحية ؟ من زرع فى صدره بذورها ؟ .

إن أمه ربته تربية صالحة لكنها لم تغرس فيه بذور التضحية والإيثار عمداً ، بل رآها تضحى بكل شئ من أجله هو وإخواته فحذا حذوها وضحى بكل غال فى سبيل راحة الناس وتحقيق مطالبهم .. واستطاع فى سنوات معدودات أن ينهض بالجمعية وينمى مشاريعها وخدماتها حتى غدت أكبر جمعية فى المحافظة بل من أكبر الجمعيات فى البلد بأسره .. هذا هو بطلنا .. شمعة تحترق لتنير الدرب للآخرين ، يبذل قصارى جهده ويستنفذ كل طاقته ويضحى بكل رغباته فى سبيل إسعاد الآخرين وإرضاء الله .. وهكذا فلتكن البطولة الحقة التى ينبغى أن ننحنى أمامها إعظاماً وتقديراً !.

***

وداعاً ياتوأم الروح

حبيبتي .. أكتب إليك من عالم الأرواح .. وأنتِ ما زلتِ فى عالم الأشباح .. لقد رحلتُ مبكرة وتركتك ، تركتك وحيدة بين بشر لايشعر بعضهم ببعض ، بين مجموعة من الذئاب ، بين مجموعة من الثعالب والأفاعى ، سامحينى .. إن دنياكم التى تحيون فيها قد أتعبتنى وأنهكتنى فرحلت عنها إلى عالم طاهر نقى تسكنه الأرواح .. عالم الخلود .. عذراً حبيبتى .. لا تلومينى .. لقد رحلت عنك بجسدى لكن روحى تناجيك ليل نهار ، إننى أتألم من أجلك لكنى لا أملك لك شيئاً .. فلتصبرى على ما رماك به القدر .. ولتعلمى أننى أنتظرك .. إننى فى شوق دائم إليك .. مكانك عندى وليس فى دنياكم .. فلتطيبى نفساً ولتهدأىِ بالاً .. فكلٌ مآله إلى ما ثويتُ إليه !.

***

كانتا معاً فى الطريق ، لا تعرفا مايخبئه لهما القدر ، تضحكان بملء فيهما .. تمشيان وهما تحلمان بالمستقبل .. تقول حنان :

ـ أريد أن أتفوق فى كلية العلوم لابد أن أعمل كيميائية .

فترد عليها إيمان والتفاؤل يملأ قلبها الغض :

ـ ستكونين كما تريدين ياحبيبتى .. لا تقلقى .. كل شئ ملكنا ، ونحن معاً لا نخشى شيئاً ، أمى وأبى سافرا إلى مكان عملهما لكنى سأقف بجوارك بكل قواى ، لن يمنعنى زواجى من الوقوف بجوارك ياحبيبة قلبى وتوأم روحى .

ـ كم أحبك يا إيمان .. أنت بهجتى فى هذه الدنيا ، انت أقرب إلىّ من كل الناس ، أقرب إلىّ من كل إخوتى .. لا حرمنى الله منك أبداً .

وسارت الأختان ويدهما متشابكتان تبتسمان للدنيا بكل جوارحهما .. عبرتا شريط الترام بعد أن نزلتا منه ، وفجأة لم تدر إيمان بما حدث .. ثوان فاصلة بين الوعى واللاوعى .. ثوان معدودة بين الحياة والموت .. كانت تمسك حنان بيدها فإذا بها تجد نفسها حين أفاقت ملقاة على فراش أبيض وبجوارها أخواها أحمد ومحمد وعمتها منى ، أخذت تنادى على حنان .. حنان .. أين حنان .

بكت حولها العيون وتماسك أحمد وقال لها : إنها فى غرفة مجاورة لك .. لقد صدمكما الترام وهى مجروحة فقط مثلك .. جرحها بسيط .. لا تخافى .

ومرت الأيام وهى لا ترى حنان .. قالوا إن جرحها بسيط فأين هى ؟ ، قالوا إنها بخير فلماذا لا تأتيها ؟ ، وبعد مرور زمن ليس باليسير صارحوها بالحقيقة لقد ماتت حنان .. ماتت من كانت بهجة الدنيا وزينة الحياة وصرخت .. صرخت دون شعور .. صرخ كل مافيها .. أيمكن أن تتركها حنان وتموت .. أيمكن أن تتخلى عنها بعد ما كان بينهما من حب وحنين .. كانتا دائماً ملتصقتين فكيف تحيا بدونها ..؟ ، كيف تتنفس بدون أن تتنفس حنان بجوارها ؟ ، لابد أنهم يكذبون ..لا بد أنها تهذى .. لابد أن مابها مجرد تهيؤات وتخيلات مرض .. ياويلها من الحياة بعدها .. ياقسوة الأيام بعد فراقها .

ليتها تموت وتلحق بها .. إنها لا تخشى الموت ومفارقة الروح لهذا الهيكل المظلم .. فليس للموت عندها من زعجة .. إن الموت يطلق إسار الروح لتنطلق فى الآفاق .

كيف ماتت حنان ؟ ، كانت تمسكها بيدها فخطفها الموت من يدها .. فإذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحذر وهتفت روحها بكل خلجاتها دون وعى منها :

ـ ربما أعيش بعدك ياحنان لكنى سأحيا دون روح .. سأحيا دون بسمة .. كل مافىّ يذكرك ياحنان .. يذكرك ولا ينساك .. أعرف أنك تذكرينني رغم مايهب عليك من رياح الجنان ، إن لم تسكنى الجنان فمن يسكنها ؟ .

أختى الحبيبة .. ياتوأم روحى .. إننى قادمة إليك ولو بعد حين .. إنتظرينى فأنى أنتظرك وأتلهف عليك وأشعر بملمس يديك .. أختاه .. إن كان الموت قد فرق بين جسدينا فإن في الجنان متسع لكلتينا ... !!

***

رحيل امرأة

تلك المرأة كانت أمي .. شبيت وأنا أراها تكافح في الحياة ، تكافح بكل قواها لتكون كما تحب .. ولتكون كما تحب .. كانت امرأة قوية ، كالجبال في رسوخها وثباتها ، وكالبحار في عطائها ، وكالأنهار في صفائها ، وكالنخيل في شموخها لولاها ماكنا بل ماكان أي شئ مما وجدناه .. لا ثروة ولاجاه ولامبادىء ولا أخلاق كانت امرأة عظيمة !.

أمي .. هذه الإنسانة التي أكرمني الله عزوجل بها .. هي المدرسة الكبيرة والشاملة التي تعلمت فيها كل طيب وجميل .. إن قلمي ينوء بمسئوليته تجاهها .. لقد كانت رمزاً لكل الحب والعطاء والحياة .. إن كل مافي كياني من صنع أمي ولها الفضل في كل ما أدركته من نجاح وتفوق في حياتي.

بدأت حياتها فقيرة تجد بالكاد مايقيها برد الشتاء وحر المصيف ، وتخرجت من الجامعة لتبدأ حياتها العملية مُدرسة في الكويت وبعد زواجها من والدى استمرت في عملها الدؤوب لتوفرلنا مع والدى حياة أفضل ، تحملت الكثير في حياتها الزوجية وصبرت على متاعب الحياة مع والدى رغم قسوة ظروف عمله ، ولم تستعن بأحد في تربيتنا إلا في أول سنوات دراستي فلما فشلت المربيات في إدارة شئون المنزل ووجدت أن وجودهن سيؤثر سلباً على تربيتنا تخلت عن عملها الذى كانت تعشقه ويدر عليها دخلاً كبيراً من أجلنا.

وعاونت بعد ذلك والدى في كل أعماله الكتابية حتى ذاع صيته وارتفع اسمه في بلدان كثيرة وصارت الإذاعات تتهافت عليه .. وأنا لا أنكر بهذا قدره وعمله

الواسع الغزير وقدرته الفائقة على النجاح والتقدم على الأقران ؛ لكنى أؤكد أن تلك الأم العظيمة كانت زوجة عظيمة وأن وراء كل عظيم امرأة مكافحة عظيمة .

ومرت السنوات وكبرنا وتزوجنا لكننا أبداً لم نستطع الإستغناء عنها .. لقد تزوجت مبكراً فوقفت بجوارى حتى أكملت دراستى الجامعية متحملة عنى كل أعبائى تجاه ولدى الأكبر ، متكفلة بجميع متطلباتى .. لقد منحنى الله أماً معطاءة عظيمة .. ولست مبالغة إذ أكرر فى حقها معنى العظمة فإنى كلما تذكرتها بدت ملامح العظمة بادية أعلى هامتها رحمها الله وجعل الفردوس مثواها .

ومرت سنون أخرى .. كبرت أمى ورق عظمها لكن عظمة شخصيتها وروعتها أعلنت عن نفسها فى معلم آخر .. أجل .. لقد مرضت مرضاً شديداً بل لا أبالغ إذا قلت إنها مرضت علة أمراض متداخلة .. فصبرت صبراً جميلاً .. صبرت حتى كتب اسمها من نور فى ديوان الصابرين والصابرات .

تحملت كل آلامها دون أنين أو سخط أو توجع .. وباتت تحرسها أعين أحبابها .. وكيف لا ؟ ،كيف لا يخشى عليها أحبابها وقد اتصل خيرها مداداً للجميع .. الأقارب والأباعد .. أكل الجميع طعامها ونعموا بخيرها وفُرجت ضوائقهم بأموالها .. وأعلن القدر انتهاء القصة ، أعلن للجميع الحداد عليها ، على تلك الروح الطاهرة الزكية المعطاءة النقية ، أسلمت روحها لبارئها بعد معاناة شديدة مع المرض لمدة سنوات ؛أسلمت روحها والجميع حولها ينتحبون من أجلها .. وأشعر أن السماء اهتزت بلقائها حين كربت الأرض لفراقها .

أمى الحبيبة .. كان مدفنك ولا يزال قِبلة للزائرين .. طِبتِ حية وميتة أيتها الروح الغالية العزيزة وطاب فى الأرض ثراكِ .

لا تبكه فاليوم بدء حياته ... إن الشهيد يعيش يوم مماته

وأد الطفولة

كان ماضىّ البعيد .. لكنى أذكره بكل دقائقه وتفاصيله ، كنت طفلاً بريئاً لكنهم جعلوا منى أضحوكة بين البشر ، جعلوا منى صورة مشوهة لإنسان ضائع ، ياليتنى لم أكن ولم أولد ، لقد حطمونى وفتكوا بى وقتلونى وما كل القتل بالسكين،لقد جربت القتل بالكلمة والقتل بالسوط والقتل بالنظرة والقتل بالحرمان والقتل بالوحدة والقتل بالحبس والقتل بالنفى والقتل بالظلم والإفتراء.

كانوا أهلى لكنهم كانوا أعدائى بكل ماتحمله تلك الكلمة من معانٍ ، لأقل هفوة أُجلد بالسياط وأُربط بعمود فى الدار عارى الصدر فى قارس البرد .. لأقل سبب أُقذف بالأشياء فى وجهى وبالماء على ملابسى وأُسب أمام الغرباء .

كنت طفلاً عادياً أشعر بما يشعر به الأطفال من حب للحياة واللهو والمرح فقتلوا فى نفسى تلك الأحاسيس ، جعلونى شيئاً رخيصاً فى حياتهم ، ذبحوا طفولتى ، مزقوا براءتى ، أخذوا عمرى ، دمروا حياتى .. لقد ماتت أحاسيسى وها أنذا فى العشرين من عمرى ومازال جسدى فى سن العاشرة .. لقد شوهوا خلقى ، توقف نموى عند سن العاشرة .. لقد وأدوا طفولتى .

كنت أوسط أولادهم لكنى من أم أخرى .. أم ماتت وتركتنى للقسوة والعذاب .. ماتت وهى تلدنى وكأنما كان مقدمى للحياة إذنا لها فى الرحيل .. لم أنعم قط بنظرتها لى ولا باحتضانها لى .. ما أقسى الحياة بدون أم .

وبؤت بكل شرور الدنيا فى صدرى ، أصبحت أكره الناس جميعاً ، أصبحت أملك كل طاقات الشر فى العالم .. أصبحت محتالاً وسارقاً وضائعاً ..

أصبحت من أرباب السجون .. والآن وبعد كل هذا العذاب قررت أن أرحل عن هذه الحياة فما عاد فيها مكان لمثلى ، أجل .. سأقتل أبى الذى كان سبب تعاستى .. ثم أقتل نفسى فإن فى الجحيم مكان فارغ لى وله .. وليكن مايكون .. لست أملك إيماناً يؤهلنى للدفاع عن آخرتى .. إن الإيمان بذرة يزرعها الوالد فى صدر ولده لتنمو مع مرور الأيام .. لكنى خالٍ من الإيمان فلست أملك تلك البذرة .. وداعاً أيها القساة الجبابرة .. وداعاً أيتها الدنيا .. لا أملك لك أية ذكريات جميلة تجعلنى أطيل المكوث فيك .. حان وقت الرحيل .. حان وقت الرحيل .. ! .



إنهم يكرهونني

إنهم يقرأون أفكارى .. يعرفون كل شئ عنى .. بل هم ينشرون أفكارى فى أجهزة الإعلام .. أجهزة التسجيل موجودة فى كل مكان أذهب إليه .. يراقبوننى فى كل مكان.

بعضهم يحاول الإيقاع بى والتخلص منى .. يحاولون تسليط أشعة كونية على رأسى لإصابة مخى .. حاولوا قتلى عن طريق السم .. زوجى يتآمر معهم ضدى وأخى يساعدهم فى الخلاص منى .. يوجهون السُباب لى .. يشتموننى بأفظع الكلمات .. إننى أسمع أصواتهم فى كل مكان أذهب إليه .. يتهموننى فى شرفى .. يسخرون منى .. يهددوننى !.

زوجى يخوننى .. أنا واثقة من هذا .. إن لدى الأدلة .. أقوى دليل نظرات عينيه .. طريقة اهتمامه بملابسه .. بشعره .. وهل هناك أدلة أقوى من ذلك ؟! .

فى يوم تركت عملى وفاجأته فى المنزل فى يوم أجازته .. ظهر عليه الاضطراب وهذا دليل آخر على خيانته .. فاجأته فى يوم آخر فوجدت الفراش غير مرتب .. وهذا أقوى الأدلة .. بل إنه يخوننى على الانترنت مع نساء كثيرات .. يغلق على نفسه باب الشقة بالمزلاج حينما أغادرها .. لماذا ؟! ويتأخر حتى يفتح لى الباب ؟! .

بل لقد ضبطته مع الشغالة يغازلها .. ومع بائعة الجرائد .. وزميلتى فى العمل .. اتفق معها للتخلص منى عن طريق السُمّ !! .

اعترافات مريض نفسى من حكايات نفسية للدكتور/ عادل صادق - دار الصحوة .

بل إنه على علاقة بجنية تحت الأرض أسمعه يتحدث معها .. هذه الجنية تحاول الخلاص مني لتنفرد به .

لقد تغير في معاملته معي وهذا معناه أنه يحب هذه الجنية .. إذا تناولت طعاماً أو شراباً منه أشعر بميل للنوم .. إنه يضع لي مادة مخدرة لأنام ليقضي الوقت مع حبيبته الجنية .

لماذا يفعلون بي كل هذا ؟ إنني مسكينة .. عشت طفولة معذبة .. وشباباً محروما .. وها أنذا زوجة معذبة يخونني زوجي مع كل النساء ، يكرهني .. يكره كل شئ فيّ .. يعيب كل شيء .. يعيب ملابسي وشعري ولون بشرتي وعينيّ وأهلي وأصدقائي وطريقة عملي في العمل والمنزل وطهوي للطعام وتربيتي لأولادي .. إنه شخص مريض .. يحتاج إلى علاج نفسي .. لابد أن أتركه وأترك له أولاده وأتزوج من رجل سواه يقدرني ويحبني ويحترمني .. إنني أستاهل من هو خير منه ولكن هل سيرضى أن يطلقني ؟! .

إن لم يرض سأقتل نفسي .. أجل سأقتل نفسي .. هذا هو الحل .. ولا حل سواه !.



القاتل الوهان !

كان صعلوكاً لا يحلم بالاقتراب منها ، كان هو الموظف المكلّف بنقل الحقائب التى كانت بصحبة الملكة وبناتها إلى أى مكان .. ولم يكن مسموحاً له بتجاوز المكان الذى كانت تتواجد فيه الملكة وبناتها ، حيث أن أفراداً من الحاشية تقف حولهم وتمنع أى شخص من الاقتراب .

كانت الأميرة الصغيرة لا تتجاوز سن السابعة عشر فى ذلك الوقت لكنها كانت تمتلىء صخباً وأنوثة لم يرها فى أى امرأة من قبل .. ولم يكن يتصور فى ذلك الوقت أن تلك الفتاة التى تشبه الحلم ستصبح فى يوم ما زوجته وأم أولاده الثلاث ، وأن حياتها ستنتهى على يديه بهذه الطريقة المأساوية !!

كانت الساعة تقترب من الثامنة مساءً حيث انخفضت الأضواء وهدأت حركة الشارع حين اقتربت عربة بيضاء صغيرة من المنزل ودخلت الممر الخلفى فى مكان وقوف السيارات .

توقف محرك السيارة ونزلت منها سيدة جميلة عمرها خمسة وأربعون عاماً ، كانت تبدو مثل نساء الأساطير الإغريقية بجسدها الفارع وبشرتها البيضاء وشعرها الكستنائى الأحمر ، نزلت المرأة من السيارة بحرص شديد وضمت معطفها الأزرق على جسدها ، وصعدت إلى الدور الثانى حيث الشقة رقم ١٢٨٢ ، ولم تمض غير عشر دقائق حتى انطلقت ست رصاصات مكتومة سقطت بعدها السيدة الجميلة فى بركة هائلة من الدماء ،بينما جلس الرجل الذى أطلق النار هادئاً تماماً يراقب الشارع عبر النافذة الصغيرة ! .

مقتبسة من كتاب :(نازلى ملكة فى المنفى) للكاتبة راوية راشد .

بعد ساعات أطلق الرجل القاتل الرصاص على نفسه ومات صريعا بجوار السيدة الملقاة على الأرض وهى غارقة فى الدماء ، كانت تلك السيدة هى زوجة القاتل .. تلك السيدة هى الأميرة .

لم تكن الأميرة قد عرفت فى حياتها رجلاً سواه ، وكانت تحبه بحجم التضحيات التى ضحت بها من أجله ، وبحجم كل العذابات التى لاقتها على يديه .. كانت تلتمس له الأعذار دائماً ولا تحب أن ينتقده أحد أمامها ولاحتى أبناؤها وأبناؤه ، ولم تذكر مرة واحدة لا للصحف ولا لأى شخص آخر كيف بدد ثروتها وحوّل حياتها إلى جحيم ؛ فقد كانت تعانى فى صمت نبيل وإصرار على استكمال مشوار الحياة رغم ماتعانيه من ألم وانكسار . كانت تدفع فى صمت ثمن اختيارها الذى كان بمثابة لعنة على الجميع غير نادمة لا على اللقب الذى حُرمت منه كأميرة وابنة ملكٍ وشقيقة ملك ولا على الثروة التى بددها بجهله وطمعه ولا على الحياة التى أحالها إلى جحيم فدمر كل من حوله غير عابئ بتضحياتها من أجله ولا بأولاده الذين عانوا الكثير طوال حياتهم .

ومع كل ذلك .. لم تتصور الأميرة الضحية يوماً أن عاشقها يمكن أن يقتلها أو يؤذيها .. فقد كانت تعرف مدى حبه الشديد لها دون أن تدرى أن الحب الشديد عند رجل مثله قد ينقلب إلى كره شديد يودى إلى الموت !!.

***

هذان جدّاي

كانا جدّيّ !.

أما الأول فهو والد أبي .. لم يكن حنوناً بقدر حزمه ، لم يكن هازلاً بقدر جده ، لكنه كان يعرف الله .. يعرفه حق معرفته .. يحفظ كتابه عن ظهر قلب .. ويؤدى الفرائض بحرص وحب .. كل أهل البلدة يحبونه .. لأنه كان عطوفاً على الجميع .. محباً للخيرات .. يحنو على المساكين ويرحم الأرامل والعجزة والمحتاجين بالقليل الذى يتوافر معه ، قلبه يسع الجميع ، ضحكته تفرح الجميع حتى الأطفال كانوا يهشون للقائه ومرآه ، لأنه كان يمنحهم الطرفة والدعابة والحلوى والدعاء.

وحين توفاه الله بكت من أجله جميع القرية وشيعه إلى مثواه الجميع مهللين : لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. رحمك الله ياجدّى !.

وأما الثانى .. فكان جدى لأمى ، وكان رقيق الحاشية ، لطيف المعشر ، جميل الخصال ، يعرف الله بسجيته وفطرته ، يتقيه بأدبه وذوقه ، يعرف لله حقه ، ويعرف للخلق حقوقهم ، يربى أبناءه على القناعة والفضيلة ، وينفق عليهم الجنيهات القليلة ، لكنه يمنحهم من حنانه الكثير !.

يعشق المساجد ويحترم العامل والعابد ، يفرق بإيمانه بين الخير والشر والحق والباطل ، يحنو على الجميع حتى أحبه الجميع .

وكانت زوجه إذا هجرته غاضبة حانقة على فقره وكثرة العيال وقلة المال .. صبر واهتم بشئون العيال وخبز الخبز وصنع الطعام حتى تعود راضية قانعة

ومعها أمها تلك العجوز الحانية التى طالما حذرت الأحفاد من مكر وغدر السيارات على الطريق وشاء لها القدر أن تموت تحت عجلات سيارة !.

وذات صباح .. وكان صباح جمعة .. ذهب الجد الطيب كما اعتاد إلى السيدة زينب ليصلى الجمعة ويزور الضريح المبارك .. فمات هو الآخر تحت عجلات حافلة .. فيا لسخرية الأقدار !.

ومات الجدان وأخفى الثرى ملامحهما لكنّ الزمن والتاريخ حفظا صفاتهما ومعالمها .. وهاهو قلمى يعيد على المسامع قصتهما براً بهما وعرفانا بقدرهما .. ولأننى مازلت وسأزال أحمل صفاتهما .

***

ونحن نرث آباءنا وأجدادنا فى أشياء عديدة بقانون الوراثة !.

ولسنا مسئولين عن وراثتنا لصفاتهم الحسنة ، لكننا مسئولون عن وراثتنا لصفاتهم السيئة !، ونرث ضمن مانرث حبنا لهم .. يصل بيننا وبينهم بخيوط متينة لا تقطعها أيدى الزمن ولا يمحوها غبار النسيان.

نرث منهم فيما نرث : أسماءنا التى نظل نردد فيها أسماءهم مهما طالت بنا الأعمار ومهما جفانا الموت وحتى بعد أن نكتب فى عداد المقبورين أصحاب الأجداث ! .

إننا ـ شئنا أم أبينا ـ بقايا هؤلاء الأجداد ! .

***

رجل عرف الله

مات فى السبعين بعد عمر طويل قضاه فى عبادة الله تعالى ، كان فى غفلة عن العالم بأسره ، يحب الله ولا يحب سواه ، يقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم فى كل سكنة وحركة ، يفتدى دينه وآخرته بعمره كله ، لا يعينه شئ من أمور الدنيا ، طُبعت نفسه على الزهد وجُبلت على الطاعة وحُبب إليها الركوع والسجود والصيام والقيام والحج والعمرة والزيارة ، هكذا عاش طوال عمره .

خرج وهو فى العشرين أو يزيد سائحاً فى أرض الله ، ماشياً على قدميه لا يركب سيارة ولا يمتطى دابة ، بل يمشى على قدميه مسافات طِوال لا يهتم بطول الطريق ولا بعد الشُقة ، يأكل أوراق الأشجار على ضفاف الأنهار ويسبح الله بالليل والنهار .

ترك وراءه أهلاً وعيالاً .. لكن ذلك كله لم يكن يعينه ، كان جُل ما يهمه طريقه الذى اختاره واختاره له ربه .. كان فى صغره شديد الورع .. يربط أفواه دواب أهله إذا سار بها فى الطريق إلى الحقل حتى لا تأكل من زروع الحقول الأخرى !! .. وظل على هذا الدرب حتى نما ونما معه عقله وورعه وزهده ، هل كان يحلم بالجنة منذ صغره ..؟ هل كان يكره الدنيا ويعرف حقيقتها منذ طفولته ؟.. أم أنه وُلد كذلك ؟ .. هل يمكن أن يكون الزهد من طبائع النفوس التى فطرت على حب الدنيا ؟! ، هل يمكن أن تنطوى العيون على الدموع الوجلة بدلاً من نظرات الوله والغرام ؟! .

وعاش فى المسجد يعبد الله ليلاً ويخدم المسجد والناس نهاراً .. وكلٌ فى نيته عبادة خالصة .. يقيم ليله فى داره ويصوم نهاره فى مسجده .

استقر داعياً إلى الله فى المسجد يلازمه من صلاة الفجر إلى مابعد شروق الشمس، ومن قبيل صلاة الظهر إلى مابعد صلاة العشاء لا يفارقه إلا للضرورة والراحة ، يقضي حوائج الخلق ويحل مشاكلهم ويعينهم على مصاعب الحياة ومتاعبها ويرشدهم إلى الله فى دروسه اليومية بعد صلاة الفجر ودروسه الأسبوعية وخطبة الجمعة .

.وفى شهر رمضان كان يعتكف بالمسجد اعتكافاً كلياً لا يفارقه .. ينقطع للعبادة والقيام فى خلوته بعد أن يفطر على قليل من التمر والخبز والماء فقط طوال الشهر .

ولم يقتصر فى دعوته على مسجده بل كان يجوب كل المدن والقرى والكفور والنجوع داعياً إلى الله محتسباً أجره على الله ، بل يسافر أحيانا إلى القرى القريبة من مدينته سيراً على الأقدام ذهاباً وإياباً مع تلاميذه ومريديه وأحبابه .. ولم يقتصر على ذلك بل ذهب إلى المدارس والجامع يلبى الدعوات فى المناسبات المختلفة حتى ذهب إلى جبهة القتال للتوجيه المعنوى أثناء حرب ٦٧ وحرب الاستنزاف لحث الجنود على الجهاد فى سبيل الله والصبر ، وتعرض فى أثناء ذلك للموت أكثر من مرة .. وظل يعمل بروح المجاهد فى سبيل الله ، عالي الهمة ، صوّاماً قوّاماً بكاءً من خشية الله ، منفقاً كل مايملك للفقراء واليتامى والمساكين والأرامل وطلاب العلم .. ابتغاء مرضاة الله .. رضي الله عنه وأرضاه وجعل الفردوس مثواه .

ارجع إلى "الطريق إلى الله" لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام أبو الفضل .

رجل خسر نفسه

أحبها بكل حواسه .. أحبها بكل خلجاته .. عشق كل شئ فيها .. روحها ، عقلها ، ثقافتها ، جسدها ، مفاتنها ، وحتى أخطاءها .. هو فولتير العظيم أبو الثورة الفرنسية .. العملاق .. شعلة الذكاء والدهاء .. ونجم الأدب والتاريخ .. لم يكن إنساناً ضعيفاً بائساً .. ينحدر - رغم مواهبه وعبقريته - إلى هوة الغفلة ومباذل الشذوذ .

إن هالة الإعجاب التى أحاطت باسم فولتير لتتبدد أمام أنظارنا ، وما أصغر الرجل الكبير إذا وقفنا على بعض خفايا حياته .. أحب ابنة أخته منذ صغرها .. وبعد أن تزوجت من " نيكولا شارل دينى" المستشار الملكى وحملت اسمه وصار اسمها "مدام دينى" ازداد أوار حبها فى قلبه .. وزادت زياراته لها وخلماته لزوجها وأحست المرأة فأطمعته وطمعت فى ثروته الضخمة حين بدأ خالها فولتير يعد مشروع وصيته فى ٩ يناير سنة ١٧٤٠م ، وقد نالت كل ماتريده شيئاً فشيئا، واحتلت مكان الصدارة فى وصيته ذلك الذى بات من كبار الملاّك والأثرياء .

وقد طالما تساءل مؤرخو فولتير عن سر إيثاره "مدام دينى" بهذا الميراث الضخم .. أما اليوم فقد انجلى السر .. ورسائله إليها خير برهان .. فهى لا تبين نوع العلاقة التى نشأت بينهما فحسْب ، بل تشير إشارات واضحة إلى زحف "مدام دينى" نحو ثروة فولتير ! .

وازدادت الأمور عن الحدود الطبيعية بعد وفاة زوجها فى إبريل سنة ١٧٤٤ فى تلك الآونة بعينها كاد فولتير ينصرف عن حب مدام "دى شاتليه" بعد أن

فترت حمية عاطفته نحوها ووجد إذ ذاك فى ابنة أخته أرملة شابة ترتمى فى أحضانه ليواسيها ، وإنه ليواسيها ثم يحتفظ بها فى أحضانه على النحو الذى تسجله هذه الرسائل .

تبدأ القصة بعواطف كريمة ثم تتحول تلك العواطف الكريمة إلى علاقة آثمة تسجلها عبارات غزل صريح ماجن ، وقد أبقى التاريخ على الحقيقة ، وهاهو ذا الكاتب العظيم يصبح بجدارة مادة دسمة لعلماء التحليل النفسى .

***

والتقى الربيع بالخريف

قد يحب الرجل امرأة تقاربه فى العمر ويندفعا فى قصة خيالية أو رومانتيكية وقد يعشق امرأة فى مثل عمره ويحيا معها فى حياة واقعية هادئة .. أما الغريب فهو أن يحب الرجل حبيبة تكبره بسنوات تفوق العشر بل تربو على الخمسة عشر ، ويعشقها عشقاً هائلاً يمتلكه ، يرى فيها أماً وصديقة وحبيبة ، بل معشوقة وعشيقة ، يهرب إليها فازعاً من الدنيا ، يرنو إليها فيرى فيها الحب والأمل والأمان ، تزوجت قبله وما عرف قبلها أحداً ، وكان هو نقطة ضعفها ورغم أن عندها ولدين ، إلا أنهما لم يملآ فراغ حياتها ، إن المرأة مخلوق خرافى جبار ، تريد الرجل فى كل مراحل عمرها .. تريده طفلة أخاً وأباً وتريده مراهقة حبيباً فى خيالها وشابة رجلاً يملأ حياتها وزوجاً وأباً لأطفالها ، وحين يفوت بها قطار العمر تحتاجه أماناً ومؤنساً ، وهكذا تريده دائماً .

كان محاسباً فى شركة هزيلة لا يأخذ منها مايكفيه للمعيشة هو وأمه المريضة الضعيفة ، واحتاج إليها لتقرضه ، فقد كانت ممن يُقرضن بالربا ، وذهب إليها المرة الأولى مع الصرّاف .. ثم عرف الطريق إليها وحده .. ومن جلسة والأخرى تولدّ الحب بينهما .. حتى أحب كل مافيها .. حبها وحنانها وأمومتها وجمالها الهادئ الكلاسيكى .. وصارت مهربه من الدنيا ومافيها ، صار يفزع إليها ظهراً من عمله ومساءً من أمه .. ووصل بهما الأمر إلى أتمه.. وصارا ينتظران النهاية وقالت له ذات يوم :

- ماذا تفعل لو فقدتنى ؟ .

فقال لها :

- ماهذا الكلام ؟.

- أفكر فى الولدين تفكيراً جدياً .. أشعر أنى أخونهما .

- النهاية آتية لا محالة .. لا مفر منها ،إن الولدين يكبران ونظراتهما بدأت تستريب فينا وتسائلنى عنك .. إننى فى حيرة شديدة من أمرى معك .. لا أطيق بعدك ولا أتحمل البقاء فى هذا الوضع الذى نحن فيه .

ومرت الأيام وتحقق ظنها .. وجدت نفسها أقرب إلى الله ووجدته يفكر فى مرض أمه ويريد أن يفرحها بزواجه ، فقررت الانفصال عنه ، وأخبرته بقرارها وقالت له إنها قررت الحج والتوبة .. ورجته أن يتزوج وطلبت منه أن يفرحها بأولاده .. وانفض لا .. لكنّ قصتها مابرحت فى خياله حتى وهو فى أحضان زوجته .. كانت حباً يملك فؤاده فما برح فؤاده ! .

***

يسخر من الموت

يفقد كل أولاده حين يتمون العامين أو الثلاثة.. لكنه يهرب إلى خمارة أصدقائه ينسى فيها همومه وأحزانه .. وحين يشتاق للولد من جديد يفزع لربه ويفلسف منطقه فيقول :

- مادام الذى نطلب منه واحداً لا ثانى له فإننا نتجه إليه حتى ولو كنا مدينين.

ويعود لامرأته حاملاً الفاكهة والأوزار ، لا يعرف الفرق بين الشكر والكفر ولا يدرك قيمةً للحياة إلا حيث يضع نطفته ويحتسي كأسه .. أدمن الدنيا وعشق الخمر ولعبت به أيدى الأقدار .

كان وسيماً قسيماً يتمنى لو أنجب شبيهاً له .. وكان يتعجب فيقول :

- من لا تنجب زوجته يتزوج غيرها.

لكن ماذا يصنع من تنجب زوجته فيموت أولاده ؟ .. ماذا يفعل من يخلق الحظيرة على كتاكيته فتنزل عليهم الحدأة من السماء ؟.

ويذهب لعمله بعد أن يزرع بذرته ويسقيها بدموع دعائه وابتهاله لله، فيقضى يومه بين الأرقام فى عمله الدائب ، وتمضى الأيام والشهور ويحصد الزرع .. طفل جميل يشبه تقاسيم أبيه وفى عينيه حنان أمه وبين حنايا الأب يولد أمل جديد يكبر مع الوقت .. ويعتاد الزارع وجود الطفل وتعتاد أذناه سماع بكائه فيمضى ليله فى الخمارة بين أصدقائه يحاولون حل إشكالية من إشكاليات الأقدار .. إشكالية الموت .

مشتقة من رواية "من أجل ولدى" لمحمد عبد الحليم عبد الله . مكتبة مصر .

لماذا يخطف الموت أبناء إبراهيم أفندى وهم فى حظيرتهم آمنون تحت الأغطية دافئون ، بينما ينسى الموت أو يتغافل عن أبناء عزت أفندى وهم فى الطرقات يعبثون وبين المزابل يسرحون ؟!.

ويرجع الوالد لأولاده ذات ليلة بعد أن صاروا ثلاثا ونسيهم الموت .. فيخلد للنوم بعد عشاء دسم فيجثم الموت على صدره ويخطفه من أولاده الذين تركهم الموت وانتقل له .. وتصعد روحه إلى السماء التى حفظت صوت دعائه .. فهل سخر من الموت أم سخر منه الموت حين نقله إلى حديقة الأموات ؟!.

***

عملاق من الريف

سيدى .. إننى واقفة بين يديك .. أنحنى لك تقديراً وإجلالاً .. وتعظيماً وإكباراً .. لقد فقت كل التصورات وبلغت هامتك أقصى الغايات .. فيا أيها العملاق :

لا تنم وانظر إلى .. إننى أناشدك الله .. أستلهمك الكلمات .. أسألك القوة والثبات .. لن أسألك الصبر .. فمثلك لا يُطلب منه الصبر ؛ لأنك صارعته وعاركته مراراً ، لكنى أرجوك أن تتعضد بالكفاح الذى وافقتهَ طوال سنوات حياتك .

لقد جزت الأهوال وتحديت الأخطار والصعوبات .. فما عرفت الوهن ولا العجز يوماً ، أفق ياسيدى من سُباتك واشحذ همتك التى بلغتَ بها الآفاق وجاوزت الثريا .

أنا الآن فى غرفتك أرنو إليك بعينين ذاهلتين وبقلب واجف مضطرب ونفس غائبة عما حولها .. أخاف عليك من لحظات الضعف العادية التى يمكن أن تجتاح أى إنسان .. لكنك ياسيدى لست إنساناً عادياً .. إنك عملاق .. عملاق فى كفاحك .. عملاق فى بطولاتك .. عملاق فى فكرك .. عملاق فى تاريخك .. عملاق فى صبرك .. طالما ناضلت من أجل أمتك ودينك وإسلامك وطالما نافحت عن عقيدتك ومبادئك وأفكارك .

لقد أحببتك حباً كبيراً لكنى لم أشعر بذلك الحب إلا الساعة .. حين رأيتك مع ربك تدعوه وتناجيه وتتوسل إليه أن يرحمك ويغفر لك ويكرمك كما عودك على الرحمة والمغفرة والأكرام .. توسلك لربك أبكانى ياسيدى .

لقد كنت رائعاً حتى فى دعائك .. عزيزاً عند ربك فى ذلك له .. كريماً على ربك فى اعترافك بتقصيرك ـ قوياً فى ضعفك ، قادراً فى عجزك .. وهكذا أنت مع ربك .. ما أبعدك عن الكبر والرياء والنفاق .. واضحاً صريحاً مع خلق الله .. كريماً سخياً مع عيال الله .. ترجو السماحة من عيالك وتتودد إليهم ببذلك وحنانك وأموالك ـ بدأت حياتك صغيراً ضعيفاً لكنك صرت ـ بفضل الله ـ كبيراً قوياً ، وحين تناجى ربك تذكر له تعالى بكل حب وافتقار وذل ماكنت عليه من صغر وضعف .. وتبالغ فى شكره عز وجل وحمده .

إنك عملاق كبير حتى فى عبادتك ، وما أعظم أن يكون المرء عملاقاً فى عبادته لربه .. عملاقاً فى ذله لمولاه .. عملاقاً فى تودد لسيده .. إنك عملاق فى نظرى فى كل شىء .. جزاك الله عنا وعن التاريخ وعن الأمة خير الجزاء .. وأبقاك ذخراً بين عمالقة الأمة تبنيها وترعاها وتخدمها وتجاهد فى الله حق جهاده.. { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) } الأحزاب.

***

حبيبتى .. طلقتك

سهر معها سهرة فى ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة .. أعطاها كل مايعطيه العاشق الولهان الصب الظمآن لحبيبته إذ هى بين يديه بكل مافيها .. بروحها وعقلها وقلبها وجسدها قال لها أحاديث العشاق ومزج بين يديها كؤوس الهوى .. حدثها عن شوقه ولهفته وحبه وحنيته .. ألهبها وأطاش عقلها بالنظرات واللمسات والقبلات .. وفى الصباح .. تركها ليعود لامرأته الأولى أم أولاده واعداً إياها بليالى كثيرة من ليالى الشوق على ضفاف الجنة .

وظلت تحلم بليلتها الفائتة طوال يومها وهى فى غرفتها التى باتت حمراء وأضحت وقد غمرتها شمس الحب !!.

وفى المساء دق جرس الهاتف .. فأسرعت إليه بقلبها المتعطش قبل جوارحها الناعمة البضة وقد استعدت بلسانها لتسعده بأعذب كلمات الغرام وأصغت أذنيها لتستمع إلى كل مايلقيه ويصبه فيها من ألحان الحب وأنغام الهيام .

ووضعت سماعة الهاتف على أذنيها وهى تهتف باسمه الحبيب بصوت ناعم ساحر خاضع .. فإذا به يقول لها بكل نعومة وذلاقة ومرح وخفة .. حبيبتى نور عينى .. طلقتك !. تصبحين على خير وهناء .. مع قبلاتى الحارة وأشواقى المستعرة .

وأغشى عليها يوماً أو بعض يوم .. لم تعد تدرى بما حولها .. دارت بها الدنيا ومادت الأرض تحت قدميها فلم تعد تبصر غير دموعها الساخنة ، ولم تعد تسمع سوى فحيح صوته وهو يهمس لها بكل رقة .. حبيبتى طلقتك .. وظنت أنه سيرجع لزوجته الأولى آسفاً نادماً متعذراً فلعلها كشفت خباياه الدنيئة

وخياناته المستمرة .. لكنّ الأيام توالت لتكشف عما فى جعبتها من مفاجأت ولتفضح مايفعله ذلك الخائن من خيانات ومصيبات تزلزل الجبال الراسيات ! .

لقد تزوج بأخرى .. سمعت ذلك من معارفه ، ورأت ذلك بعين رأسها ، فقررت أن تهدم المعبد على من فيه .. فذهبت لزوجته الأولى النائمة فى غيبوبة أولادها ودوامة مسئوليتها وأخبرتها بكل شيء ، وأثبتت لها كلامها بالصور الخاصة بهما وببعض هداياه لها حين كان تحت قدميها يقبل الأرض من تحتها ذائباً هيماناً .. وأعلمتها بمكان مسكنه الجديد .. وصُعقت الزوجة المسكينة .. وكادت أن تنهار .. فقالت لها : هونى على نفسك أيتها الضحية البريئة .. إنه فى أيدينا .. لدىّ صور تفضحه وهو فى أحضان عشيقاته كنت أمسكها عليه قبل أن يتزوجنى فقد كنت سكرتيرة خصمه ولدي أوراق ملكيته لكل شئ .. والتوكيل العام الذى عمله لك .. لقد كان يثق بك ثقة عمياء .. تستطيع أن نقتله وهو حى ، نلمره تلميراً حتى يدعو على نفسه بالثبور والهلاك .

وبالفعل اتحدت المرأتان المكلومتان .. عرضت الثانية صوره الفاضحة على أعدائه وباعتها لهم بثمن محترم .. فرجع يولول كالنساء للأولى فإذا به يجد جميع ممتلكاته قد آلت إليها بذلك التوكيل فذهل عقله وصار يهذى فى الطرقات أضحوكة لكل من سار وفات .. لسان حاله يقول : " إن كيدهن عظيم " فكم من لاعب بذيله قد يُقطع ذيله !.

***

لم تأت حبيبتي بعد

هاهو العمر يمضي بي ولم أجد نفسي بعد ، لم أجد يوماً يسعد زمني ويريح نفسي ويهدئ لوعتي ويداوي أشجاني ، كلما أحببت امرأة هربت بمشاعرها بعيداً عن قلبي الذي أحبها ، أو أخرى لم تقدر مشاعري واستغلت فيّ كل ما أمكنها استغلاله ثم تتركني حين يظهر لها رجل أفضل مني ، أو ثالثة أو رابعة أو خامسة .. كلهن أدمين قلبي وحطمن روحي ، فمن يأترى السبب ؟ ، هل هو قلبي البرئ أم روحي الشفافة .. هل كتب عليّ أن أعيش وحيداً فريداً في هذه الدنيا ؟ .

مضى زمن الطيبين ، مضى زمن الحب ، مضى عهد الهوى ، وتمضي الأيام وأنا بين ذكرياتي أئن وأتوجع وأبكي بدموع قلبي على قلبي الذي عاش للجميع وما عاش أحد له .. لكني لم أذبل بعد ، مازالت زهرتي يانعة ، مازلت أحلم بالغد البسّام ، مازال قلبي يتنفس وينبض ، أجل مازلت أشعر بنبضاته .. مازال يحمد الله على أن بالقلب هناك نبضات ! .

ياذنبُ فات المــــآب	لما تحطم صـــــرحي
مالي عليــــها عتاب	إني أعاتب جـرحي
وهذه قيـــــــثاري	ذات الشـجر والأنين
وهــــــذه أوتاري	أصرتِ لا تطـــــربين
ياكم شـدوتُ بلحني	مابين حزني ودمـعي
مابالـه طـــــيَّ أذني	لكنْ غريباً لسمــعي

وإنى لأتساءل : مابال أناس يأتون ويذهبون وهم لا يدركون معنى الحب والوفاء والأخلاص ؟ ، مابال الدنيا لا تعطى لكل قلب قلباً يشعر به ويحن إليه ويواسيه ؟ ، مابال الناس يأكل بعضهم بعضاً وينهش بعضهم بعضا ولا يكفون عن قتل قلوب الأخرين ؟! .

وليس الذئب يأكل لحم ذئبٍ ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

***

ويضيع عمرى

ليس العمر ألبوماً للصور .. ذكريات تمر كأنها شاشة عرض ، طفولة بائسة كلها حرمان وعذاب وضياع ، وشباب تائه لا أجد فيه نفسى ولا قلبى مع أحد وزواج كأنه لم يكن زوجاً .. هموم ومشاكل وخلافات فأين المودة والرحمة ؟. أين من أنفسكم أزواجاً ؟ .

كل هذا فى كتاب الله .. لكنه فى عصر غير عصرنا ولأناس غيرنا ولزمن غير زماننا .

يقولون إننى رجل مكتمل الرجولة كله شباب وحيوية وفرحة .. لكن الحقيقة إننى رجل ضعيف مهزوم كهلٌ أو هرم .. قلبى يملؤه الحزن والدموع ، أعيش بالنصف من كل شىء .

إن قالوا سعد بأحلى امرأة .. أجبتهم فقلت : هى أكثر النساء ضيقاً بى وبكل شىء .. أكثر الناس هماً وغماً ونكداً .

إن قالوا ورث ثروة محترمة .. أجبتهم فقلت : ذهبت فى عيادات الأطباء وفى فُرش المستشفيات وعلى أيدى المحتالين والنصابين .. إن قالوا يشغل أحسن منصب .. أجبتهم فقلت : وصلت له بالنحت فى الصخور بعد ضياع الشباب ثم امتلأ المنصب نكداً بالأحقاد والضغائن والمناوشات .

حتى من أحببتها فى آخر شبابى حرمونى منها بعد أن كانت الدفء لقلبى الحزين .

وامتلأ قلبى بعد الفرحة اليتيمة بالحزن المسكين .. آه ثم آه .. والآن.. سأقول لهم جميعاً وداعاً .. سأرحل بدون زاد .. سأرحل دون ندم .. دون رجعة .

سأرحل إلى حيث لا يعلمون .. إلى حيث لا يتوقعون .. إلى حيث لا أراهم ولا يروننى .. ولا يرانى أحد .. خذنى معك أيها النورس فى رحلتك الأبدية.. خذنى معك إلى جزيرة نائية لأحيا حيث يرقد روبنسون كروزو ذلك الذى فُرضت عليه الوحدة فلم يفر منها وأنا الآن ذاهب إلى الوحدة بقلمى.

خذنى معك أيها البحر إلى حيث تشاء !.

***

لا لن أنساك !!

لا تقل لى مع السلامة .. لا تقل لى إننى لن أراك مرة أخرى .. لا تقل لى سوف ترحل .. إنى أحبك يادنياى .. صعب عليِّ أن أنساك أو أسلاك .. أو أعشق غيرك .. لم أعرف الدنيا إلا على يديك وبين يديك .. حيث تسبح عيناك فى عينى .. حيث يلمس قلبك قلبى .

نسيانك ليس بالسهل على قلبى الذى عشقك وعشق حياتك .. لا تقل لى إنهم رفضونى.. لا تقل لى إنى لا أساوى شيئاً فى نظرهم .. المهم ماذا أكون فى نظرك أنت ؟! ، لا تقل لى إن الظروف أقوى منك ومنى .. الظروف هي أنا وأنت .. الظروف هى حبنا .. قدرنا .. لن أكون قوية بدونك .. لن أكون إنسانةً بدونك ، لن أكون حيةً بدونك .. لماذا تطيعهم وتتركنى ؟ ، كم حلمنا معاً بكل شىء يسعدنا معاً ، كم فرحنا معاً بحبنا.. وعشنا سعداء به.. لكنى الآن فى سجن نفسى أعيش بك لا أنساك ولا أنسى أيامك الحوالى .

بداخلى حزن كبير ، لا أحد بداخل حياتى يستأهل أن أحيا من أجله .. ليتك ترانى الآن .. لو رأيتنى ماعرفتنى .. إننى شبح امرأة .. بقايا إنسان .. حطام حياة .. لقد أحببتك حتى انتهى الحب .. أحببتك حتى ملأتُ الدنيا بسيرتك .. حتى غنيت للحب فى كل مكان وعلى أسماع الخلق .

والآن .. بعد كل هذه السنوات حين التقينا .. لن أبكى بين يديك لا أقول لك ارجع لى .. ولكن سأقف أمامك بنفس شامخة لأقول لك : لن أدّعى أننى نسيتك .. لكنى الآن تعودت أن أحيا بك بدونك ، أن أحيا مع ذكرياتى بكبريائى ، خير لى من أن أموت عشقاً على ضفاف الانكسار ! .

المجموعة الثالثة

(ومضى زمن الحب)

الإهداء

إلى أولئك الباحثين عن الحب في زمن عز فيه الحب ..

إلى أولئك الذين لا يعلمون معنى الحب ..

إلى أولئك الذين ينتسبون إلى الإنسانية

لكنهم نسوا معنى الإنسانية .. ونسوا أن الإنسانية هي الحب ..

إلى الذين جهلوا الحب بكل ألوانه ومعانيه ..

إهدى هذه المجموعة ..

سامية

زمان الخوف

عمرى وعمرك دمعتان ..
الدمعة الفرحى لقاء يجمع الأشواق
ترقص فى الجوانح فرحتان
الدمعة الثكلى وداع
يخنق الأشواق .. يشطرنا فتنزف مهجتان ..
لم يا زمان الخوف تأبى أن يكون لنا مكان ؟
عنوانا ليل كئيب الوجه يخدعنا
ويسرق فرحة الأيام منا .. والأمان
ونموت فى فرح اللقاء كما نموت مع الوداع
أيامنا طفل .. كلون الصبح مخنوق الشعاع ..

وبدأت أبحث عن مكان
ضحك الزمان وقال فى غضب :
من قال إن الشاطئ الموعود يمنحك الأمان ؟
الشاطئ الموعود مثل البحر أمواج وخوف وامتهان
الشاطئ الموعود مقبرة
يفر الناس منها كلما صرخ القدر
تترنح الأعمار بين دروبها

أحلامها عرجاء
تسقط كلما قامت وتأكلها الحفر
أواه يا شط الأمان
جئنا لنبحث فى حطام الناس
عن وطن يلملم شملنا
صرنا بقايا من حطام
جئنا عرايا
نسأل الأيام ثوبا كى نداري عرينا
صرنا حيارى فى الظلام
فالشاطئ الموعود مقبرة تئن بها العظام
ماذا سنفعل ؟
هل نترك الأيام تسقط فى شواطئ حزننا ؟
أيامنا فى الموج أحلام ترفقناها وضاعت بيننا
وجراحنا فى الشاطئ الموعود
بحر من دماء الخوف يسرى حولنا .. (*)

(*) الشاعر فاروق جويدة : الديوان .

وغابت شمس الحب

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى كنف كجلد الأجرب (*)

فى كنف الرحيل . .
لا ولن أحب أرضا لست فيها . .
لن أحيا بمكان لا تظله سماؤك .
بحرى تعكر بعد غياب أمواجك . .
حديقتى يبست بعد جفاف أنهارك . .
فلا تلومينى على حزنى . . فإن الحزن ممدود . .
ولا تخففى جزعى فإن طريقى مسدود . .
ولا تهونى لوعتى فإن العمر مكدود . .
ولا تتركى لومى فإن الذنب لا معدود ولا محدود . . ! !

(*) الصديقة بنت الصديق .

(١)

فراق ورحيل .. رحيل يمر فى ثوان .. وفراق يستمر سنوات
فمتى عتفوان اللقاء؟!.
قالوا تخف المصيبة بتجدد الحدثين. ولكن. فراقك علقم.
فإن أبكك الدهر لا أسلو !!.

تكسرت سفينتك وتقطع من هول العاصفة شراعك ويت فى ألم ويأس من الدنيا ومافيها .. قد سار المرض بأهدابك إلى نهاية محتومة وأضحى نهارالصيف - على طوله - قصيرا بين جناحيك - وأصبحت بعد قربك وأنسك واجتماعك وحيدة غريبة شريدة ، ما فيك مقدرة على النداء ولا التشكى ولا حتى الهتاف .. ما هى إلا دموع .. بل بقايا دموع تركت مآقيك حائرة لا تلوى على شئ .. لا تهتم نفسك الآن بمن يراك تبكين وأنت التى طالما أخفيت دمعك ووهنك .. لكن الدمع الآن صار تعبيرا واهنا عن بقايا حياة، كما أضحى الوهن عجزا عن المقاومة .. إذ أصبح مرضك كاسرا يبتلع حياتكما رويدا رويدا .. وأصبح العجز فانيا مع بداية الفناء وأخذ يتحول بدوره إلى ذرة فى بحر فنائك المقبل .. بدأت الحياة بكاء وصرخة .. وتوسطيها عناء وألما .. وأنهيتيها فناء وبؤسا .. لا أدرى أصاب نفسك الحزينة آنذاك بعض فرح ؟ هل توجت سعادة اللقاء خاتمتك ؟ لقاء من فارقتيهم وكانوا أعز الناس وأحنى الناس وأرأف الناس حين قلت وقلبك يتمزق حزنا :

- أرحلت يا ابتى تاركا إياى للعناء والظلم واليتم ؟.. أرحلت دون بسمة وداع ؟ .. أما كان بوسعك أن تنتظر طلعة وليدى المرتقب ؟!.

ورحلت مثل الذى رحل عنك دون أن تمهلينى توبة شافية .. توبة تغسل ذنوبى فى حقك .. ودون أن تغفرى أو تطمئنى قلبى بالغفران .. قبل أن أبكى بين يديك دموع الندم و أخفض لك جناح الذل من الرحمة .

أذكر حين جلست قبل رحيلك بأيام قلائل تحت قدميك اللتين أتعبتهما الدنيا سفرا وغربة وترحالا .. جلست أدلكهما لك . فقد كنت تحرصين على نعومتهما رغم مرضهما وثقليهما . وقلت ساعتها فى نفسى : اللهم ارض عنى بمجلسى هذا ، رضا يغفر الحوب وييسر التوب .

لكنى ما صارحتك بتوبتى . وأحيانا يحاصرنا الصمت . بل ما كنت تبت من عقوقك بعد توبة تامة . تؤهلنى للمغفرة التامة العامة .

وغفرت يا مولاتى قبل التوبة .. غفر قلبك الرحيم جفوة السنين وقسوتها .. ليتك صرخت فى وجهى . ليتك وبختنى أو عنفتنى .. ليتك قسوت علىّ فى الحديث لا .. بل كنت وادعة كالحمام .. كنت كاملة فى الرحمة والتودد كنت مهيبة فى الحب و العطاء حتى أسكرتنى فأصابتنى منك نشوة لم أذق مثلها بعد رحيلك عنى يا غالية .. يا أغلى من كل غال .

وصرت ممنوعة أنت من الدخول يا حبيبتى على ، ممنوعة أن تجلسى ، أو تهمسى ، أو تتركى يديك فى يدى ، ممنوعة أن تحملى لى دمية أحضنها ، ممنوعة أن تقرئى لى قصة الأقزام والأميرة الحسناء والجنية .. !! .

كنت إذا أخفض هامتى لألثم يديك الجميلتين رغم قسوة المرض ويأسه عليك .. أجد فيهما بحر عطاء لا تنقضى عجائبه ولا تنتهى آماله ولا تفنى خزائنه ولا تجف ينابيعه .

وفى لمسة يدك على شعرى مودعة لى ببعض الأمسيات أجد بعدد شعيرات رأسى حنان الدنيا وعطف الكرماء أجمعين .. فذاك نفسى وحياتى وأبنائى والدنيا أجمع .. لهف نفسى على يوم من أيامك أجد فيه ملجأ أحتمى فيه من أعاصير الحياة .. ملجأ آمنا من غدر الغادرين ولؤم الأشقياء ،أجد فيه مرتعا لودى وحنانى عليك ومسرحا لصفائى معك وإقبالى عليك وزهدى فيما عداك

لهف نفسى على ليلة طويلة من لياليك الشتوية الدافئة ، ليلة تجمعنى بك حتى طلوع الشمس ، ليلة أونس فيها وحشتك وأضم فيها جسدك المعنى وأشعرك فيها أننى ما زلت ابنتك ،إننى بقلبى المحب وأفعالى العاقة ما زلت جزءا منك يحمل ملامحك وإن كان لا يحمل صفاتك الخالدة .

تعالى إلى فما فات مات وما هو آت جميل كصبرى .
أمد إليك يدى باشتياق ودمع حنينى من العين يجرى . .
تعبت من البحر لكن قلبى يصر على البعد عن بؤس برى . .
لماذا أاسلم للبحر أمرى وأمنح للريح أيام عمرى ؟ !
تناديك روحى ونزف جروحى وقرع فؤادى على باب صدرى
فلا تتجاهل ندائى حبيبى فإنك تعلم ما بى وتدرى . .

ردى علىّ من خلف أطباق الثرى .. فقلبى يناديك من برزخ أيامى .. نداء اليأس والألم والقنوط .. نداء جدب كأيام جدبى .. نداء كسير حسير كعمرى .

ألا يقولون : كما تدين تدان ؟!، فلماذا لم تجاز على برك برا ؟ ، لماذا لم تكافئ على ودك بالود ؟ ، لماذا هنت ومثلك لا يهون ؟ ، لماذا تعذبت بنارى وقد رويتنى وأحييتنى بعذب موردك ؟ .

لماذا ألف ألف مرة .. لماذا شافية من ألم الندم . كلا.. هيهات أن تشفى .. فكيف لمن أذاق بحر ودادك الويلات أن يهدأ أو ينام أو يستكين أو يرتاح؟!.

كيف لمن عذبك بالحسرات أن يسكن وجعه ويبرأ جرحه ؟!.

غسلت جسدك مرارا فى مرضك لكنى ما غسلت نفسك من أوجاعى.

مسحت دمعك تكرارا فى ألمك لكنى لم أجتث ألمى من صدرك .. ألمك من جحودى ونكرانى للجميل .. ألمك من بعدى وتنائى وفراقى الطويل ، وفي كل بعد وتناء وجفاء كنت أجد منك كل حلم وصبر ووفاء.

أدعى لى فى رقادك ياسيدتى - إن استطعت - لكنه إن كان بوسعك الدعاء - لسعة حلمك - فليس بوسعك احتضان قلبى الوحيد الكسير الحزين.

أنا التائهة بعد رحيلك ..

أنا المكلومة بعد فراقك ..

أنا المسكينة بعد افتقداك ..

أنا الضائعة بدون لقائك ..

أنا الملومة ببحر صفائك ..

أنا الخائنة بعهد وفائك ..

أنا الكاذبة بصدق كلماتك ..

أنا الشريدة عند رفاتك ..

أقر عينى بمقارع العذاب لتهدأ روحى المعذبة .. فربما لو عذبتنى أجد بعض السلوى لنفس الشائنة .. ربما أجد بعض العزاء .. ولكن ..

إذا نزل القضاء بأرض قوم فلا صبر يهون ولا عزاء

***

(٢)

{ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) } الأنعام .

أتحدى من إلى عينيك يا سيدتى قد سبقونى ..
يحملون الشمس فى راحاتهم وعقود الياسمين ..
أتحدى كل من عاشرتهم من مجانين وأطفال ومفقودين فى بحر الحنين ..
أن يحبوك بأسلوبى وطيشى وجنونى .. أتحداك أنا ..
أتحداك أن تجدى وطنا مثل يدى وسريرا دافئا مثل عيونى ..
إننى أسكن فى الحب
فاقرئى أوراق الهوى تجديني دائما بين السطور ..
فما من جنة دخلت ليس لى فيها حلول أو حضور ..
أتحدى عشاقك يا سيدتى .
أن يخطوا لك مكتوب هوى كمكاتيب غرامى ..
أو يجيئوك على كثرتهم بحروف كحروفى وكلام ككلامى ..
أتحداهم ..
أن يكونوا قطرة صغرى ببحرى ..
أو يكونوا أطفأوا أعمارهم مثلما أطفأت فى عينيك عمرى
أتحداك أن تجدى عاشقا مثلى وعصرا ذهبيا كعصرى . .

كنت فى الثامنة حين كانت أمك التى هدها الفقر والهم ترغمك على غسل الأرض يوميا فجرا قبل أن تذهبى بحقيبتك الخشبية إلى المدرسة ، وحين كنت تتأخرين عن موعد الدراسة كنت تركضين فتتعثرين وحينها تتفتح الحقيبة على

مصراعيها لتتبعثر أدواتك يمنة ويسرة ويهرول المارة لمساعدتك فى جمعها.. وفى آخر النهار ترفعين على الفلكة فى منزل الشقاء لتحاسبى وتضربى بسبب ضياع أداة من الأدوات .. ثم ترغمين على تنظيف المطبخ وغسل الملابس التى اتسخت من لعب الأطفال (إخوتك) فى الطريق .

فإذا فررت من هذا الجحيم إلى أبيك الحانى فى دكانه ـ حيث يعمل خياطا للرجال ـ وجلست معه تذاكرين فى العلية إلى الليل رجعت إلى البيت لتقابلى بعاصفة من الركل والصفع ووابل من السب والشتم بأبيك !.

فيالها من حياة الموت أروح منها !.

وتحملت هذه السنوات القاسية بصبر طفولى تحسدين عليه.. بل أظن أنك حتى وأنت طفلة لم تكونى تعيشين بعقلية الأطفال .. فقد تحملت قسوة الحياة ومسئوليتها حتى فى صغرك !.

ومع القسوة كان الفقر يشاركك ربيع أيامك الشاقة فطالما نمت بدون عشاء توفيرا لوجبة الإفطار والغداء رغم أنهما كانا صورة لشظف العيش .. لم تعرفى ملبسا سوى ملبس الشتاء والصيف فهذا له ثوب وذاك له آخر .. وقد يفصل الثوب من قماش غير تقليدى .. قماش يلبس على الناحيتين حتى يظن الرائى أن لك ثوبين .. فيا للعجب .. كيف بدأت حياتك بهذا الفقر المدقع وواصلت شظف الحياة حتى بعد زواجك .. تحملت كل شئ فى سبيل ماذا .. كانت نفسك مثابرة على التحمل لا أعرف ما كنه هدفها ؟ هل كنت تحلمين بالغنى وكان دأبك الصبر والمصابرة ؟! ، هل كنت تختارين أى زوج ـ أيا كان ـ ليأخذك بعيدا عن زحام العيال (إخوتك الصغار) وقسوة الأم واستكانة الأب ؟!.

ربما كلا الأمرين مجتمعين !.

يا كان الأمر لقد مرت بك الأيام ودخلت الجامعة ببركة الله ثم ببركة ـتك التى أصرت أن تواصلى تعليمك رغما عن إرادة الأب الذى كان لدك خياطة بتعليم متوسط اقتصادا للنفقات .. وسارت سفينتك تمخر عباب امك رغم عواصف الدهر وتقلباته سارت لتصل بك إلى مرفأ الجامعة.

وبلغت السنة الرابعة ورآك الشاب المكافح الذى ينتمى إلى الريف فوقعت من نفسه موقعا أى موقع ، وكان معيدا بالكلية فقرر أن يتقدم لخطبتك .. وبالفعل تقدم لك وكاد والدك أن يرفضه لضيق إمكانياته .. كان يريد لك مستقبلا أفضل من حاضرك كما كان يريد لك ابن عمك ، لكن أمك رشحت لك خطيبك عمر .. المعيد . وتمت الخطبة وتزوجت منه ، عقدتما قرانكما فقط وسافر هو ليعمل مدرسا فى تونس وسافرت أنت إلى الخليج.

ومرت الأيام .. أيام الخطبة الجميلة .. كان خفيف الظل عذب الحديث معسول الكلام ، يقرض الشعر ويتقن الغزل العفيف ، فوقعت فى شباك حبه وعشت معه أجمل قصة حب .. كانت رسائله تطمئن قلبك فى غربته وتطوى لياليك الطويلة الباردة وتقع من نفسك موقع الدواء والبلسم الشافى لجراح الطفولة التكلة والفقر الطويل ، وقسوة الأم التى لم تعهد الحنو ولا العطف على أبنائها الذين شقت بهم فى شبابها وكهولتها .

ومر عام التقيتما بعده فى مصر لتتم زواجكما وقلت له :

قد إيه من عمرى قبلك راح وعدى يا حبيبى ..

ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة ولاداق فى الدنيا غير طعم الجراح

وبدأتما بعد زفاف بسيط حياتكما الخالية من بعض الضروريات .. كالبوتاجاز والسخان والمكواة .. وسارت الحياة تتئد فى غفلة من الزمان شربت معه كؤوس النعيم ولذة العناق وقلت :

ابتديت دلوقتى بس أحب عمرى . . ابتديت دلوقتى أخاف للعمر يجرى

وكان حانيا عليك كأعذب ما يكون الحنان ولم لا تسعدى معه وقد كنت فى شقاء وأخذك بحبه الجارف إلى بر الهناءة والسعادة والأمان ، ولم لا يسعد معك وقد كنت له الأم الحانية الرؤوم بعد أن طوى الموت أمه وهو فى بواكير الصبا ، وكنت له الزوجة الطائعة الوفية وهو محتاج إلى صبر الزوجة واحتمالها وصبرها على مشاق الحياة وهو فى مقتبل الحياة يبنى نفسه ويؤسس بيته،فلم إذن لا يسعد معك ويهنأ ويجد نفسه مهيأ لمواصلة رحلة البحث عن المجد وطلب العلم والرقى فى مدارج النجاح والتفوق ثم الشهرة والعالمية التى أتت له بفضل صبرك واحتمالك ودأبك فى مساعدته والوقوف بجواره فى مشواره الطويل وكفاحه المستنير.

كان لك إذن نعم الزوج وكنت له نعم الزوجة .. وتمت عليكما نعمة المولى : المودة والرحمة والسكن ثم توج كل ذلك بنعمة الأبناء ، أنجبتما أربعة من الأبناء ذكورا وإناثا .. فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

لكن الدنيا إذا أسبغت على أحد منتها وأسدت إليه نعمتها مارست معه هوايتها فأخذت منه بعض ما أعطت وسلبت منه أعز ما وهبت .. أجل .. لقد حرمتك الدنيا من السعادة فجأة بعد أن أعطتك كل شئ ،صرت غنية بعد فقر وعيلة .. وبدل الثوب الواحد ذى الوجهين امتلكت عشرات الأثواب وأفخم الملابس .. أنت وزوجك وأبناؤك .

لكن النعمة إذا تمت سلبت ، فماذا فعلت بك الدنيا ايتها الصابرة ؟!.

أكاد أشـــك في نفسي لأني أكاد أشـــك فيك وأنت مني
يقول الناس إنك خنت عهدي ولم تحفظ هـــواي ولم تصني
وأنت مناي أجمعها مشت بي إليك خطى الشـباب المطمئن
يكذب فيك كل النـاس قلبي وتسمع فيك كل النـاس أذني
وكم طافت على ظلال شـك أقضت مضجعي استعبدتني
كأني طاف بي ركب الليـالي يحدث عنك في الدنيا وعني
على أني أغالـط فيك سمعي وتبصر فيك غير الشك عيني
وما أنا لمصــــدق فيك قولا ولكني شقيت بحســن ظني
وبي مما يســـاورني كثير من الشـــجن المؤرق لا تدعني
تعذب في لهيب الشك روحي وتشقى بالظنـــون وبالتمني
أجبني إذا سألتك هل صحيح حديث الناس خنت ألم تخني
أكاد أشك في نفســـي لأني أكاد أشـــك فيك وأنت مني

لم تكوني من النوع الذي يتدخل في عمل الأزواج ـ لكنك ـ بطبيعة تربيتك ونشأتك وعملك ومراسك في الحياة امرأة حذرة تحيط أملاكها بلراعيها ولا تدع للحدأة فرصة لتأكل أفراخها .

لكن حذرك لم يجد في دفع المقدور ، تشتت شمل أسرتك .. أما ابنك الأكبر فقد هاجر إلى أوروبا ليدرس ويعمل وصمم على عدم الرجوع ، كره المكوث

فى وطن لا يعرف قدر المتميزين ولا يكرمهم .. فسافر إلى الغرب عله يجد حظه من التوفيق والفلاح هناك .

وأما ابنتك الوسطى التى هى أنا فقد اختارت رفيق حياتها وسافرت معه إلى محل عمله - وهى وإن كانت داخل أرض الوطن - إلا أن الزيارات تناءت وتباعدت وكأن ولديك دعيا الله فقالا " ربنا باعد بين أسفارنا " .. وصبرت واحتسبت بعدهما وقلت :

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالى فما لحـــوادث الدنيا بقاء

كان صبرك عظيما بعد أن رأيت انفراط عقد أبنائك واحدا تلو الآخر .. وقلت فى نفسك : الحمد لله لقد بقى لى زوج وفى وولدان .. لكن الأقدار كالت لك بمكيالين .

أما الأول فخيانة الزوج الحبيب الأثير .. ذكرى أيام الشباب وماضى السعادة والهناء.. وأما الثانى فوفاة الولدين فى حادث أليم مروع حكت عنه المدينة بأسرها .. ماتا وهما ثملان من الخمر فى حادث سيارة على الطريق السريع .. فيالهف نفسى عليك حين سمعت الخبر .. وظللت بعده سنتين فى وهن ومرض وذهول بين عطف الناس عليك وشفقتهم على حالك واستمرار بعد ولديك الآخرين .. أتيا حين حدثت المأساة ثم انصرفا وتركاك لويل الجزع والنحيب وحسرة الفقد ومرارة الفراق .. ثم أراد الزوج أن يروح عن نفسه فعاد إلى سيرته الأولى قبل حادثة الولدين .. عاد إلى خيانته التى اكتشفتها قبل موت ولديك بأيام قلائل .. وحين علمت وأوشكت على مواجهته حدث للولدين ما حدث ..

فقدت كل شئ وفى سنوات معدودة .. ولكنك لم يعد بك قوة على مواجهة الزوج ولاعادت بك رغبة فيه بل زهدت فى كل شئ دنيوى .. أصابك مرض نفسي عضال حار فيه الأطباء .. تساقط شعر رأسك رويدا رويدا رويدا ، وأخذ الزوج من جاجياتك كل ما غلا ثمنه وخف حمله لزوجته الأخرى التى كانت عشيقته لسنوات وانصرف إخوتك الخمسة عن مواساتك لمشاغلهم وصرت وحيدة معيلة بعد أن كنت ربة أسرة غنية .. تذكرك العوز مرة أخرى .

ومرض كبدك ولم يجدِ معه علاج ولا دواء .. وأصبحت عاجزة عن خدمة نفسك .. وأفاق الزوج إلى نفسه قليلا بعد أن تركته عشيقته حين أخذت منه مآربها وحققت به جزءا من أمنياتها فى الغنى .

عاد إليك يطلب الغفران .. عاد إليك وقد غشيه الهم والندم والحزن على ما فرط فى حقك وقد أشفق عليك حين رأى ما وصلت إليه من مرض وانكسار .

ورجع إلى ربه تائبا معتذرا نادما .. ولكن وقد غفر الله الذنب برحمته التى تسع كل شئ فإنه لم يكن بإمكانك إلا المغفرة لا سيما وأنه لم يعد لك فى الدنيا بعد الله سواه .

ورجع لعهده السابق معك واستدعى لك كل من تحبين .. استدعى لك أشقاءك وولديك الباقيين .. أما أخى المهاجر فقد رفض الرجوع فقد استهوته شياطين أوروبا وشهوة جمع المال وتطبع عقله بالطابع الغربى فرأى فى نزوله على رغبة أبيه ضعفا أمام العواطف ـ التى يحسبها تافهة ـ وهكذا لم يعد .. وأما أنا فعدت إليك مع أبنائى .. عدت إليك لأجد شبابك وقد ولى وهرمك قد أقبل غير متباطئ .. وجدت المرض هدك وحرمك حتى من الحركة البسيطة العادية .. فجثوت تحت قدميك أرجو السماح والمغفرة والعفو والرضا .. وقد قبلتينى

وأقلتينى من جرمى فى حقك ورحمت ضعفى أمامك وقلت لى والدموع فى عينيك : سامحتك يا ابنتى .

ومكثت فى خلعتك رافضة تركك .. جلست تحت رجليك .. يملؤنى ندم قاتل فقد أوصلناك جميعا إلى ما أصبحت فيه من مرض وذبول وضعف .. وحار الأطباء فى علاجك واعترفوا لنا بأن المسألة لا تعدو بعض الوقت ويحين الأجل المحتوم .

وأصبحت ترين رؤى مبشرة .. ترين مرة أنك تصعدين درجات سلم وعلى نهايته يقف ملائكة يبشرونك بالدرجات العلى إن نجحت فى صعود الدرجة الأخيرة الكبيرة .

ومرة ترين أنك فى بساتين خضراء .. وصرت تخبرينى بكل رؤية ترينها .. لقد كافأك الله على صبرك لفقدك ولديك وخيانة زوجك .. كافأك الله الرحمن الرحيم على صبرك على قسوة والدتك وفقرك وعوزك واحتمالك شظف العيش .. فالله يقول فى كتابه العزيز : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ الزمر .

يا صـــــــورة الغابر الدفين — أيقظت ما نام من شـــــجونى
أوشـــــكت أنسى الذى تولى — فجئتنى اليـــــوم تذكرينى
أرينيه وقد تبـــــــدى — لناظرى واضـــــح الجبين
أكاد أصغى إلى صـــــداه — يرن فى قلبى الحـــــزين

طلب الأطباء عمل فحوصات لك .. ونقلناك إلى مستشفى كبير فخم ، وفى اليوم الثالث من دخولك المستشفى دخلت فى غيبوبة تامة .. كنت تفيقين أحيانا لتهذى ببعض الكلمات ثم تعودين إلى عالمك الخاص حيث لا تشعرين بنا ولا بشئ مما حولك .. وبعد ذلك نزف كبدك نزفا حادا .. ولم يكن أحد بجوارك ليلقنك الشهادة .. ظللت تنادين على أخوى الراحلين ثم انتقلت فى وداعة وهدوء وسلام إلى العالم الآخر .. انتقلت وأنت فى وحدة بعيدا عنا وعن كل من عرفت .. لماذا كتبت عليك الوحدة فى وفاتك يا حبيبة قلبى ؟! ، ما أقسى الوحدة والألم إذا اجتمعا على المرء فلا يتركانه حتى يسلمانه إلى الموت ؟! ، أم يا ترى آنسك الله به وبملائكته فبشروك - وأنت المؤمنة الصابرة - فقالوا لك : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) " فصلت .

أمى الحبيبة ..

رحلت عن دنيانا .. دنيا الشرور والمخاوف والمصائب والهموم .. رحلت إلى دار هى الحيوان .. كما قال خالقها عنها .. رحلت إلى نعيم مقيم وجنات أعدت للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

طالما تصدقت من حر أموالك .. طالما رحمت الضعفاء والمعوزين طالما تحملت هفوات زوجك وغدراته .. لم تشتكى ولم تبوحى بأسرار بيتك لأحد مهما كان .. ومما حفظته عنك قولين :

تعب كلها الحياة فما أعجـ ـب إلا من راغب فى ازدياد

وقولك لى محذرة : " صديقك له صديق " ولم أتعلم إلا بعد فوات الأوان بعد أن سلمت رقبتى للأفاقين والغادرين واللؤماء والخبثاء .

أمى الحبيبة .

رحلت عنى دون وداع .. دون أن أسمع منك كلمة سماح .. ولكنك كنت تعاملينى بحب وود حتى الأيام الأخيرة فهل أفهم من هذا الود أنك عفوت عنى بعدى عنك وعدم تفكيرى فيك بعد زواجى وانشغالى بأولادى وزوجى وأصدقائى ؟!.

لقد رأيتك كثيرا فى المنام بعد رحيلك .. رأيتك تضحكين لى .. وتضفرين لى شعرى .. هل معنى ذلك أنك راضية ؟! .

حبيبة روحى وعمرى وأيامى .. حبيبة الماضى والحاضر والمستقبل روحى تشكرك على كل ما قدمتيه لى طوال حياتك الحافلة بالتضحيات ، كنت مثالا للتفانى والتضحية من أجل إسعاد من حولك .. كنت نموذجا لربة البيت والزوجة والأم الصالحة .

كنت قدوة لكل من يضحى من أجل إخوته المحتاجين سواء كان الاحتياج ماديا أو معنويا .

رحمك الله يا حبيبتى وقرة عينى وأسكنك فسيح جناته وجعلك فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. وإلى لقاء قريب .. !!.

***

سلعة غالية أو رخيصة

ضاعت أيامها وترنح الحب على ضفاف قلبها المشتاق .. فياليتها ما ذاقت العشق ولا عرفت الأشواق أحبت ابن عمها وهى بعد لم تشب عن الطوق .. وأحبها .. لكنها لا تعلم هل أحبها لمال أبيها أم لجمالها البكر أم لقلبها الغض وحبها المستعر .. لا تدرى .. ومن يدرى ؟.

ربما جمع قلبه بين كل هذه الأسباب التى من شأنها أن تجعله يلهث وراءها سنوات .. كانا يتقابلان فى حديقة منزلها فيبثها الحب والكلام العذب ، فتمر الدقائق تلو الدقائق وهما غارقان فى بحار من اللهيب الحبيب لا يشعران بأى شئ حولهما ، اللهم إلا زقزقة العصافير وهديل الحمام وهدير الماء تحت أرجلهما.

فكانت تلك الحديقة الغناء مأوى قلبيهما .. وصارت بعد تجدد اللقاءات تبثه من رونق حديثها ومن طيب كلامها .. ومن سهام عينيها الكحلاوتين ما يذيب قلبه ويضرم صدره نارا تريد أن تنطفئ بقبلة أو ضمة وأنالته ما أراد منها يسيرا حتى لا تطفئ غلته نحوها واحتفظت بحبه دائما فى جذوته فحبه شمس روحها وقد قيل : " **الحب شعلة غير مرئية ، تمنح المرأة حياة ثانية أغلى من حياتها الأولى** " .

كان يقول لها : حبك جنونى الجميل .. حبك لا يعرف الساعات ولا الأيام ولا الشهور ولا الفصول .. إنه ينبثق فيها كلها .. حبك يحرك شمسى ونجومى .. حبك نور قلبى الساطع .. إننى أفقر حالا منك لكنى أغنى منك بحبى .. وعرف أبوها بخبرهما فكانت كارثة كبرى .. حبسها فى البيت ومنعها حتى من الخروج

إلى الحديقة ، وقدمها هدية لأول خاطب خنق مشاعرها بمقصلة قسوته كعادته دائما .. لكن قلبها ظل ينبض بحب حبيبها .

وتزوجت زوجها دون أن تشعر معه بأيه أحاسيس وعاشت شهورها الأولى في منزل الزوجية وهى تشعر أنها حبيسة ذلك الزوج الذى ماأساء إليها يوما لكنها ما أحبته أبدا .. كان زوجها بارد المشاعر شديد الغيرة من أتفه الأسباب لا يعبأ بإشعال مشاعرها نحوه .. كل ما يهمه أخذ احتياجه منها ثم ينصرف عنها وكأنها فرقة بالية لا تساوى شيئا .. فلم تجد لحياتها معه مذاقا أو معنى .

ومات والدها فطلبت لنفسها الحرية التى خنقها والدها بداخلها حين زوجها من زوجها .. طلبت الطلاق .. ولأنها لم تنجب ولم يجد معها زوجها حبا من أى نوع فقد انفصلا بهدوء .. ورجعت لتعليمها الذى تركته حين عرف والدها بقصتها مع ابن عمها الذى تزوج بدوره .. ولكنه ظهر على حقيقته فقد تزوج من امرأة تكبره بعشر سنوات لأنها ثرية .

ووجدته قد أسس شركة تجارية ونسى أوهام حبها القديم فكفت عن التفكير فيه وشعرت أنها قد غبنت فيه غبنا رهيبا وخسرت زوجها بسبب تفكيرها فيه .. اكتشفت أن الحب أصبح سلعة أو وسيلة لنيل الغايات .. أصبح قالبا لأشياء كثيرة يمكن أن تنال به .. اكتشفت أن قلبها المحب ولد فى زمن لأى شئ غير الحب فكفرت بالحب كله وأيامه ولياليه .

عرفت أن المال فوق الحب .. والمصلحة تعلو الحب .. فعاشت أيامها دون أن تشعر بمعنى أو بقيمة لأى شئ .. الليل يشبه النهار والنهار يشبه الليل .

وفجأة .. ظهر ابن عمها فى حياتها .. ادعى أنه تزوج لأنها تزوجت .. رغم أنه خسرها وخسر معها خسارة كبرى .. زعم أنه لا يشعر بالسعادة مع زوجته

وأنه ليس بينهما أى تجاوب أو تفاهم من أى نوع .. وطلب منها أن يرجع إليها وأن يتزوجها فقد ذللت كل الصعاب .. أصبح غنيا ، ومات والدها فلن يمانع زواجهما أحد .. ولكنه لن يستطيع أن يطلق زوجته فإنها مسكينة ومريضة ولن تتحمل أية صدمات .. ولأنها قد فهمته فقد رفضت عرضه .. لكنه ظل يلح عليها ويلاحقها حتى ضعفت أمامه وضعف قلبها البرئ أمامه فنفسها متعطشة للحب ظامئة له .. وبالفعل خطبت له .. لكن زوجته علمت فانهارت أمامه وعرضت عليه كل ثروتها التى تقدر بالملايين فأفاق من حبه لابنة عمه ورجع جاثيا تحت قدمى زوجته التى كافأته وأغدقت عليه من خيرها .

ومضت هى فى طريقها دون أن تعبأ بالحبيب الخائن ودون أن تضع الحب فى حساباتها لأنها اكتشفت أن الحب أصبح سلعة غالية لا يمكن أن تجدها .. وربما أصبح عند بعض الناس - بل معظمهم - سلعة رخيصة يعلوها المال وكل ما يمكن أن يقتنى بالمال !.

***

امرأة غادرة

أحبها حبا جنونيا .. وكانت زوجته فأعطاها كل شئ ولم يبخل عليها بمال ولا بحب . بل منحها اسمه وماله وجاهه وشرفه ، منحها كل غال ونفيس .

أحاط حبها بقلبه إحاطة الشعاع بالمصباح المتقد ، وكان يمازج خوفه من المستقبل سعادته بالحاضر .. كان يخاف من أن يموت ويتركها فتتزوج غيره .. وكلما باح لها بمكنون صدره حنت عليه وعللته بمعسول الأمانى ، وأقسمت له بكل يمين وقسم أنها كالمرأة الهندية التى تدفن مع زوجها إذا مات عنها .. وأنها لن تسترد هبة قلبها منه حيا وميتا فكان يسكن إلى أمانيها العذبة .

وصادف أن ذهب يوما إلى مقبرة المدينة ليزور قريبا دفينا له فرأى امرأة جميلة متزينة مزدانة بالحلل والحلى قد وقفت على قبر تحدث ساكنه وتتحلله من وعد كان بينها وبينه ، وعرف من خلال الحديث أن الدفين زوجها وأنها تتحلله من قسم أقسمته له حال حياته بألا تتزوج غيرها وإلا يمسها غيره سواء فى حياته أو موته .. لكنها الآن وقد فارقها عنّ لها أن تتزوج سواه لتتمكن من مواصلة رحلتها فى الحياة فما أمر الوحدة على امرأة جميلة لها قلب يعشق الحياة و يحتاج إلى من يؤانسه مثلها !.

فعجب من شأنها أشد العجب وما زال يحدث نفسه أن المرأة قد ذهبت لزوجها لا لتزوره وفاء له بل لتحلل نفسها من وعدها له ولتحنث فى قسمها بين يديه لتكون لرجل غيره بعد أن رحل عنها .. فما أعجب أمرها !، ودخل على زوجه بوجه حزين ومنظر محزن فحدثها بها رآه فغضبت وأنشأت تلعن تلك المرأة وتنعى عليها غدرها وخيانتها وتلقبها بأفحش الألقاب وأقبحها ثم

قالت له : " ألا يزال هذا الوسواس عالقا بصدرك ما دمت حيا ؟ وهل تحسب أن امرأة في العالم ترضى لنفسها بما رضيت تلك المرأة الغادرة لنفسها ؟!، فقال لها : " إنك أقسمت ألا تتزوجي بعدي فهل تفين بعهدك ؟ " فأجابته : " نعم ، ورماني الله بكل ما يرمى به الغادر إن أنا غدرت " ، فاطمأن قلبه لقسمها وعاد إلى راحته وسكونه .

ومرت الأيام وتتابعت الشهور ومرض الرجل مرضا شديدا فلم يجد العلاج حتى أشرف على النهاية فذكر زوجته بعهدها له وقسمها أمامه إلا تكون لغيره .. فبكت بكاء مرا وعاودت عهدها له.. وما غربت شمس ذلك اليوم حتى غربت شمسه .

وباتت تنعيه وتندبه وتبكيه وترثيه حتى أتى تلامذة له يكونه فرأت أحدهم قد أبدعت خلقته يد القدرة الإلهية ، فتخيلت أن المصباح الذى أمامها قبس من نوره ونور وجهه وتمثلت كأن أنينه وبكاءه نغمة موسيقية محزنة ترن في جوف الليل البهيم فأنساها دهشتها للقاء الفتى المنير حزنها على فقيدها الهالك المسجى أمامها .. فأخذت تهون على فتاها حزنه وحدثته حتى علمت كل ما يهمها أن تعلمه من أمره ثم أطرقت برأسها ساعة طويلة ثم رفعت رأسها وقد اختلت بالفتى فقالت له :

- إنك قد ثكلت أستاذك وأنا ثكلت زوجي فأصبح همنا واحدا فهل لك أن تكون عونا لي ، وأنا أكون عونا لك على هذا الدهر الذى لم يترك لنا مساعدا ولا معينا ؟ .

فقال لها مبتسما ابتسامة حزن ومضض :

ـ من لى يا سيدتى أن أكون عند ظنك بى وهذا المرض الذى يساورنى يكاد يهلكنى وليس لى عند الطب دواء ولا شفاء .. إنك من بنات الوجود وأنا من أبناء الخلود !! .

فقالت له : سأعالجك ولو كان دواؤك بين سحرى ونحرى .

فسكت هنيهة لا يجيبها ثم قال لها فى تردد :

ـ حدثنى طبيبى أن شفائى فى أكل دماغ ميت ليومه ولقد علمت أن ذلك يعجزنى فعلمت أنه لا دواء ولا شفاء.

فسكتت بعد رعلة وأجابت بعد إطراق :

ـ سأعالجك ولو كان دواؤك بين سحرى ونحرى .. ولو كان شفاؤك فى ذهاب نفسى .

ثم قامت إلى فأس فى طرف الغرفة وتقلمت إلى زوجها فوقعت الفأس إلى رأسه ففاجأتها نظراته وقد سددها إليها .. وسمعت حركة وراءها فالتفتت فرأت الخادم والضيف واقفين يتضاحكان .. ففهمت كل شئ ، وهنالك تقدم إليها زوجها وقال لها :

ـ أهذا وفاؤك يا زوجتى الحبيبة .. أليست تلك المرأة التى تستأذن زوجها فى أن يحلها من عهدها أفضل منك وقد حملت الفأس لتشدخى به رأسى ؟! .

فصارت تنظر إليه نظرا غريبا ثم شهقت شهقة ذهبت فيها روحها .

***

امرأة مظلومة !

عاشت معه لكنها ما عرفت معه معنى الحب أبدا .

ظلت له زوجة مصونة وفية لكنهاأبدا ما عرفت كيف تجعله عاشقا .. إنه يتقن دور الزوج الذى لا يقصر فى أى واجب من واجباته ، لكنه لا يعرف أبدا كيف يشعرها بحبه .. كلمت صديقتها واشتكت لها ، فاشتكت لها صديقتها زوجها الذى لا يمل ترديد كلمات الحب والغزل لكنه لا يعمل أى شئ يرضيها .

استوقفتا صديقتهما الأخرى فحكت لهما عن زوجها الوفى المخلص الذى يتفنن فى إرضائها بالكلمات والأفعال .. بالأمرين معا .

فرت الأولى الى بيتها تبكى حالها ترثى نفسها حتى رآها زوجها فسألها مالها .. فانهارت أمامه وأخذت توبخه وتلعن اليوم الذى تزوجته فيه .. وطلبت الطلاق ـ ولأن كرامته لا تسمح بأن يعيش مع امرأة لا تريده ولا تتقبل صفاته التى يعتز بها ومن أهمها أنه وقور لا يستطيع أن يتغزل فى أية امرأة حتى ولو كانت زوجته المصونة .. فطلقها ورجعت إلى بيت والديها كسيرة باكية !! .

وأما الثانية فقد سخرت من كلمات زوجها وغزله الذى أفصح عن أفعال كلها كذب وخداع .. إنه يغازلها ويلعب بها فهو يغازل عشرة معها .. ولا ينفق على البيت ولا يعطيها مالا فى يدها .. إنه زوج فاشل !!، وطلبت الطلاق .. إنها لا تطيق الحياة مع رجل مخادع منافق محتال .. ولأنه لا يحب النكد والمشاكل آثر السلامة .. وطلقها .. ورجعت لبيت والديها كسيرة باكية !.

وبعد يومين اتصلت الصديقتان ببعضهما وعرفتا ما حدث لبعضهما وحسدتا صديقتهما الثالثة على ما هى فيه من هدوء البال وراحة القلب إنها

تعيش مع زوج يسعدها بجميل الكلام ويلهب عواطفها باللمسات الساحرة والهدايا والمفاجآت وهو فى نفس الوقت زوج ماهر فى إدارة بيته وفى الإنفاق على أسرته وإسعادها .. إنه رجل الأقوال والأفعال .. إنه رجل بمعنى الكلمة .. ليس قاسيا ولا مجافيا ولا مخازلا مخادعا بل هو .. آخر الرجال المحترمين .. !

وبعد يومين سمعت الصديقتان ما جعلهما نادمتين على كل كلمة صدرت منهما .. سواء بينهما في حق صديقتيهما أو كل تصرف فعلتاه مع زوجيهما .. لقد طلقت صديقتهما طلاقا بائنا بعد أن ضربها زوجها وأهانها أمام الجيران لسبب كبير جدا .. لقد تركت الطعام حتى برد دون أن تقدمه له ساخنا ..!.

حقا إن المرأة مظلومة !! .. إن زمن المحبين انتهى !!.

***

بائعة الحب

كلهم يحبونها وهى تحبهم كلهم .. لكن أحد منهم لا يفكر فى أن يبق بجوارها عمره ، لأن رجولتهم تأبى عليهم مجرد احترامها لذلك تبيع الحب كله ولا يباع لها إلا بشروط أهمها أن تستمتع به فقط لليلة واحدة ثم يتركها لغيرها ممن يبحثه مثلها ، وربما باعها الرجل الحب ليلة ثم باع عمره كله لامرأة أخرى .. امرأة تحفظ قيمته وشوفه .

ولكن ما هى تفعله قدرها.. ولدت فوجدت نفسها ابنة لبائعة من بائعات الهوى .. أولئك اللاتى يخرمن بالرجال .. أصنافا وأشكالا وأنواعا .. فيبعن لهن أجسادهن وأرواحهن لليلة .. أو ليال .

وربما لا تغرم إحداهن بالرجال لكن الحاجة ومذلتها تكرهها على بيع فنون الهوى لرجل من الرجال .. رجل بدوره لا يعرف قيمة الحب .. ولا يقدر شيئا فى المرأة التى يلامسها سوى جسدها .

وذات ليلة قابلت رجلا بروحها ولباسها وزينتها ووجهها وجسدها .. ولم يتركها بعد ليلتهما بل سهر معها ليالى عديدة حتى أسكرها بحبه فانتشت بنيرانه وهامت بكيانه وظلت فى بستانه دون أن تذبل وروده فى أحضانها، عرفت كيف تحتفظ به وتجعله يحبها .

ومرت الأيام وهو معها على عهده، لم يخذلها لم يفضل عليها غيرها ، لكن أهله لم يتركوه فى أحضانها ، أخذوه منها فقد كانت معرة بالنسبة لهم، وظلت تستجدى لقاءه لكن الأيام والظروف والدنيا ضنت عليها به وظل الحب يحرق قلبها يوما بعد يوم حتى أصابها المرض وألم بجسدها وهن عام

حتى بلغ بها السقم أشد مبلغ ، وسامها العذاب أشد ألوانه فوهنت نفسها فى مواجهة الحياة ووهن قلبها لكن حبه ما زال فيه يتبض ، وكلما ازداد وجيب القلب بحبه والشوق إليه ازداد وهن الجسد والقلب معا حتى أشرفت على الموت وهى تلهج باسمه وتهتف بندائه .. وصارت صويحباتها يخففن عنها مرضها بالدواء لكن دواء قلبها لم يكن بيدها ولا بأيديهن .

وهكذا الحب يبدأ بالتحايا ويثنى بالهدايا ويختم بالمنايا .. وصار الذل ملء حسنها الذاهب فى رياح المرض .

إن أحدا فى الدنيا لا يدرى كيف ولد .. لكنها تدرى كيف ولد حبه فى قلبها وكيف مر بيديه الحانيتين على نفسها المتهدمة فحيت بعد موات .. إلا أنه بمعونة الأقدار عاد فأماتها بعد حياة وهدمها بعد بناء .

وسطت رعدة قلبها آخر نبضات الحياة وهى تذكره وتبتسم لخيال منه مر أمام عينيها الذابلتين .. وانتهت قصته مع حياتها ! .

***

اليمامة الراحلة

حبيبان سرا ســــاعة ثم عوقبا طويلا كذاك الدهر يسخو ويبخل(*)

فقدتك بالداء الذى هــــو قاتلى فإن ساءنا بالفصل أسعد بالرحيل

عليك سلام العاشق المدنف الذى يسير إلى قبر الحبيب على مهل (**)

عرفها فى محفل عام .. ولم تكن ضيفة.. بل كانت وصيفة بسيطة رقيقة الحال وتيم بها من أول نظرة .. وشبهها لصاحبه باليمامة وهو يروى له مشهده معها فى الحفل الصاخب حيث سار وراءها إلى الحديقة وانزوى معها فى ركن مشجر بعيد يحادثها ويتعرف إليها .. فعرف أنها وصيفة فى قصر المضيف وأنها ابنة حارس القصر تأوى إلى كوخ بسيط آخر الليل حين تنتهى من الخدمة . كانت معتزة بنفسها وبأبيها وأمها رغم أنهم من البسطاء .

ما عزّ لهما أن ينهلا دون أن يعكر صفو مائهما شئ .. كان يقابلها فى حديقة عامة فى يوم عطلتها .. كان غنيا وكانت فقيرة لكن الحب جمع بينهما وأنى لما جمع الحب أن يفرقه الفقر !.

ففى الحب وحده تهمل وتنسى جميع المفارقات فى الحياة ، إذ فى الحب وحده فقط لا تكون الوحدانية والثنائية فى نزاع وفى ليالى القر (***) الشديدة ورغم مرض ألم بها - وهى طفلة - فى صدرها إلا أنها كانت لا تتخلف عن ميعادها معه .

(*) وتوالت اللقاءات بعد ذلك ، وأخذا ينهلان من معين العشق .

(**) خليل مطران : الديوان .

(***) القر : البرد القارس .

وربما انتابتها إحدى نوبات مرضها وهى معه فيضمها إليه وهو يرتجف من ارتجاف جسدها .

كان يشعل مصباح حياتها بحياته ويروى زهرتها بمياهه العذبة وحبه الشاب ، والحب شباب وعطاء وغذاء .. ولأن حبها له كان حقيقيا فقد غلفت روحها جسدها.. وقالت له يوما : أريدك قويا يا حبيب الروح .

إننى لن أعيش طويلا لأملأ حياتك بهجة ، لكنك قد جعلت بشمعة حبك الجارف حياتى ممتدة إلى حياة ثانية وثالثة أغلى من حياتى الأولى .

لقد علمتنى بكرمك يا سيدى أن الحب حق لكل إنسان وينبغى ألا يحرم منه أحد كائنا من كان . مهما كان مستواه أو مبلغ علمه .. فما من عقبة تقف فى وجه الحب الحقيقى .

فأجابها والدمع ينحدر على خديه كاللؤلؤ حبات حبات :

- رويدك يا حبيبة القلب فإن عمرك الطويل وأمد حبنا أطول من عمرينا .. إن حبنا خالد خلود الزمن لا يبلى بمرور الدهور والأعوام .. وستحملين غدا أبناءنا وسنفرح بهم معا .

ومرت أيام قلائل كان الثرى بعدها مضجع الفتاة .. وعاش الفتى بعدها ما عاش عازفا عن النساء جميعا حتى لحق بها فجمعه وإياها التراب الحنون وربما لم تكن الدنيا قد جمعتهما فى حال الحيا ة !.

***

أين منك أهوى ؟!

أحبا بعضهما فى الجامعة وعاشا الهوى كما تمنيا .. وتوجا حبهما بالزواج وليس للمتحابين مثل النكاح .. ومضيا معا فى طريق الكفاح يرسمان فى مشوار العمر أجمل لوحة للتفانى .. فى أن يرضى كل منهما الآخر .. إذا أصاب أحدهما مرض سهر الآخر بجواره ، وإذا اشتكى طفل لهما تفانيا فى إبرائه من وجعه ، وإذا قلت فى أيديهما الأموال سلدا وقاربا حتى ليضع أحدهما اللقمة فى فم صاحبه حبا وإيثارا .. لكن الدنيا لا تظل على حال واحدة بل تختلف على أصحابها وتتقلب بهم كتقلب الليل والنهار وتعاورهما .

عرف الزوج امرأة أرملة شابة وساعدها فى بعض شئونها وساعد ابنتها بحكم وظيفته ومركزه فى الدخول لإحدى المدارس الرقيعة فوقعت المرأة فى هواه وشبكت حوله شباك هواها وتناست أنه رجل متزوج مستقر فى حياته ولم يكن لها من رصيد الأخلاق الشريفة ما يمنعها من اختطافه من أسرته ، والأخلاق لا تصنع بالقوانين واللوائح .. وإنما بالوعى والوازع الداخلى ، وظلت وراءه حتى أوقعته بشباكها فأصبح يقصر فى حق زوجته وبنيه ويهمل فى أداء واجباته كزوج وأب حتى لاحظت زوجته ما ألم به من تغيير طارئ متواصل وغيابه الطويل وسهره خارج المنزل بمفرده مدعيا أنه متغيب فى العمل أو ساهر مع أصدقائه .

وحين واجهته بتغييره ادعى أنه لم يتغير وإنما هو كفاحه الدؤوب من أجل مصالحهم وراحتهم .. وبات كل من الزوجين بمنأى عن صاحبه بعد أن كان الزوج لا يجد راحته إلا مع زوجه وبدأ يبتعد عنها تدريجيا وبدأت الأخرى

تشغله بفنون من الهوى تعلمها الغانيات تجهلها الزوجة الصالحة حتى بات منزله بالنسبة له مجرد مكان للمبيت لا للراحة والسكن والمودة والرحمة ، وأصبح حب الأخرى عمى فى قلبه أعماه عن حبه القديم لزوجته المصونة وأبنائه المساكين .. ولذا يقال : إن الشيطان لو خير فى غير شكله لما اختار إلا أن يكون امرأة حرة خيالية كاسدة لا تجد الزوج !.

لقد امتلأت الأرض من هذه القنابل .. ولكن ما من امرأة تفرط فى فضيلتها إلا وهى ذنب رجل قد أهمل فى واجبه !.

وعرفت زوجته بخبره مع المرأة الأخرى واجهته فاعترف لها بكل شئ دون مبالاة قائلا : إنه حر فى فعل ما يشاء ثم إنه يحلم أرملة مسكينة حرمها القدر من حقها فى الحياة مع رجل مثل بقية النسوة .. وزعم أنه قادر على أن يكفل امرأتين وأن الدين شرع له الزواج بأكثر من زوجة .. فردت عليه قائلة : إذا كان الدين قد شرع لك الزواج بأكثر من واحدة فقد شرع لى الطلاق .. فرد عليها من فوره : لك ما تشائين .. ولكن لتعلمى ويعلم أبناؤك أنك من هدمت هذه الأسرة السعيدة المستقرة ، وكأنما أنكر إهماله وتقصيره وخيانته مع الأخرى دون علمها ونسى أنه عاش مع الأخرى أياما دون زواج علنى يعرفه الناس ويقره الشرع .

وطلق زوجته فى سبيل الأخرى التى سلبته عقله ورزانته وهدم بيت مستقر فى سبيل شهوات زائفة .. فأين الهوى منك أيها الزوج المدعى للحب ؟ .

إن الحب الحقيقى لا يقع فى سبيله ضحايا .

إن عهد الهوى بينك وبين زوجتك لوكنت صنته حقا لما كان هذا حالك .. لما كنت طلقتها وشردتها وشردت أبناءك .. لما كان قلبك الجافى نسى أيامك معها

قبل أن تظهر فى حياتك تلك المرأة اللعوب خاطفة الرجال التى ما أحبتك وإنما أحبت فحولتك ولو أحبت روحك ونفسك ما كانت جعلتك تيتم أطفالك وأنت على قيد الحياة

ليس اليتيم من انتهى أبواه   من هم الحياة وخلفاه ذليلا

إن اليتيم من تلقى له أما   تخلت أو أبا مشـــــغولا

فرحم الله أبناءك الأيتام ورحم زوجتك (طليقتك) المسكينة التى حكم عليها الزمان بأن تظل مربية لأبنائها دون أن تجد بجوارها رجلا يحميها ويعفها .. نسأل الله لها العفاف والغنى والهدى .. وهداك الله .. !!.

***

أين منى الرجال ؟!

قالوا عنى جميلة وفاتنة .. لكنى لا أجد رجلا ينظر لى راغبا فى .. كم تمنيت وأتمنى رجلا يحبنى ويذيقنى عذب الحديث ومعسو ل الكلام .. رجلا يزين لى الكون بأكمله .. لقد فقدت أبى وأمى فى أشهر متتابعة وأصبحت بلا أى سند ، أريد أن أشعر بالأمان .. بالدفء .. بالحب .

لماذا لا أجد ما أحلم به ؟ هل حرم الحلال على من يحلمون أمثالى ؟ أريد أن أتزوج .. أريد الحلال الذى أحله الله .

لماذا لا أجد من يفكر فى الارتباط بى .. يقولون عنى إننى جميلة فلماذا لا يتقدم لى من يناسبنى ؟ .. إننى متدينة وأعرف حقوقى وواجباتى لكن مشكلتى أننى أحلم بالحب .. الحب الشريف .. الحب والعفة معا .

أحببت شخصا قبل ذلك لكنه لم يكن صادقا معى .. تركنى عندما قلت له تقدم لأهلى .. تعال للبيت .. تركنى فورا .

والآن بعد هذه التجربة حرمت على نفسى أيه معرفة بعيدة عن الأهل والبيت .. إننى أكره الخطأ .. أريد الحلال .. الحلال .. ربما تقدم لى بعض الخطاب لكنهم لا يناسبون مستواى ولا طريقتى فى التفكير فى الحياة ، فكيف أتزوج من لا يناسبنى ؟ ، مشاعرى غامرة تجاه الجنس الآخر لكنى لا أجد من أفرغ فيه هذه المشاعر المتفجرة .. أشعر بأشد حالات الضعف وأنا بمفردى دون أب أو أم .. أو زوج أو حبيب .. منذ صغرى وأنا أومن أن الحب أساس الزواج الناجح .. أساس أى حياة ناجحة .

أومن بالحب في ظلال الخطبة وليس الحب بعيدا عن الأعراف والتقاليد والدين .

إننى وأمثالي ضحية ارتفاع مستوى الغلاء والمغالاة فى كل شئ فالشباب لا يجدون مالا يكفى متطلبات الزواج ، والأهل يغالون فى مطالبهم من المتقدمين للزواج من بناتهم ، ويغالون فى شروط مواصفات الخطاب ، والحكومة تغالى في رفع مستوى المعيشة ، وأصحاب العقارات السكنية يغالون فى رفع أسعار الشقق في إيجار البنايات السكنية .

إننى ضحية مجتمع ظالم ونظم وأعراف ليس لها أساس من الصحة ، متى أنجو من هذه الدائرة السوداء المغلقة علي وعلى أمثالي ؟! ، متى أنجو من بوتقة العزوبة ؟ . أليس من حقى أن أحلم بالحب ؟ .

اكتشفت وسط كل هذه الدوامات أنه ليس من حقى أن أحلم بالحب .. لقد مضى زمن الحب .

مضى مع أجدادنا الذين كانوا يحبون ويحلمون ويتزوجون بكل بساطة وسهولة دون روتين أو تعقيد أو تقاليد خانقة .

لكنى لن أيأس من رحمة الله .. ففرج الله بإذن الله قريب ! .

***

ثورة الشك !

تربى فى أسرة متوسطة الحال على الشك فى كل شئ ، علمه والده بتصرفاته السيئة ويظنونه فى كل من حوله أن الأساس هو الشك وأن الثقة لا محل لها فى التعامل بين الناس ولو بين الأشقاء .. كان والده يشك فى زوجته التى هى أمه ، وحين طلبت الطلاق منه لسوء خلقه وضربه المستمر لها لأبسط الأسباب اتهمها بأنها تخونه مع جارهم وهى بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب ونشأ الولد فى أحضان زوجة أبيه بعد أن طلق أبوه أمه إثر مشاجرة حادة .

وكبر الولد على الظن والشك فيمن حوله ، يشك فى أقرب الناس إليه ، ولسان حاله قول الشاعر :

لا يكن ظنك إلا سيئاً　　　إن سوء الظن من حسن الفطن

وعمل فى مركز راق وأعجب بزميلة له فراقبها مراقبة دقيقة فلما تبين له أنها حسنة الخلق وأن سلوكها لا غبار عليه تقدم لأهلها وتزوجها وبعد الزواج وبهجته الأولى رجعت نفسه توسوس له مرة أخرى بالشك فى زوجته بدون أسباب مقنعة .. إذا خرجت إلى الشرفة شك بها وظن أنها تنظر لأى مار فى الطريق وإذا تزينت وهما بسبيلهما للخروج ظن أنها تتزين ليراها الرجال ويفتتنوا بها مع أنها كانت متوسطة الجمال .. ومع كل ظن مشكلة وتفاقمت المشاكل حتى أدى بهما الحال إلى الانفصال والطلاق .

ومرت به الأيام وهو لا يطيق نفسه من مرض الشك الذى علق به ومن جرثومة الظن التى أصابت صدره فقرر الذهاب إلى طبيب نفسى ليعالج نفسه بدلا من أن تفسد الظنون بقية حياته كما أفسدت حياة أبيه.

وأعطاه الطبيب علاجا وبعد مضى شهور تحسن من العلاج نوعا ما صارت نظرته للأمور مختلفة فقرر أن يعيد تجربة الزواج لكنه فكر فى الحب - ولأول مرة فى حياته - إنه يشعر أنه لو أحب فسيحافظ على حياته مع زوجته ولذا انتظر فترة حتى وجد قلبه يتحرك ناحية قريبة من قريباته تزوجت مرة ومات عنها زوجها ولم يكن يهتم بأن تكون بكرا .. وتم الزواج بعد خطبة دامت شهورا حيث أراد أن يختبر أخلاقها - رغم أنها قريبته ويعرفها جيدا - وبعد الزواج وجد أن نفسيته قد تحسنت كثيرا فترك العلاج وكان قد خبأ عن زوجته حقيقة ما يعانيه من مرض نفسى.

لكن المرض عاوده بضراوة وهاجمه بشراسة حيث بدأ يشك فى زوجته فى كل شئ ، يشك فيما تقدمه له من طعام وشراب ويتهمها بأنها وضعت له فيه سما قاتلا ، ويشك فيها إن سلمت على أحد أقاربها وابتسمت فى وجهه أنها تحبه وبينهما علاقة خاصة ، وظل يشك فيها حتى طلبت الانفصال عنه وظل شبح الطلاق يهدد حياته الزوجية مرة أخرى فخاف من أن يعلم الناس بمرضه فصمم على الاستمرار مع زوجته رغما عنها رغم ازدياد حدة التوتر فى علاقتهما بسبب ظنونه.

وفى خلاف من الخلافات بسبب الشك والغيرة وجد السكين أمامه فهجم به على زوجته وقتلها ثم حاول الانتحار بصعق نفسه بالكهرباء فى (بانيو الحمام)

أظن أن هذا الشاب لو عرف الحب فى صغره فى بيت والديه ما تربى على هذه الظنون وما زرعت بداخله الشكوك .. ينبغى على كل إنسان أن يشعل مصباح حياته بالحب ويشعل مصباح الحب بحياته وكما قيل : أموت محبوبا خير لى من أن أعيش مكروها .



الخائنة !

تمردت على حياتها مع زوجها الطيب وحولت حياتها معه إلى جحيم .. لأنها أرادت أن تحيا معه حياة مختلفة .. حياة ثائرة حياة غريبة عليه ، حياة سحيلة لكنها ليست هادئة ، وكانت تصر على الاجتماع بصديقاتها كل يوم وتترك الأبناء ليرعاهم وهو مذعن ومطيع لأنه يحبها ورغم أنها تستنزف كل أمواله وجهده إلا أنها لم ترض عنه أبدا ، بل كان بالنسبة لها غير لائق بها بل هو زوج خامل كسول ضعيف خنوع غير طموح لأن أحلامها فوق مقدرته المادية والمعنوية .. وقابلت رجلا عميلا فى البنك الذى تعمل به .. كان بذرة لحياة مقبلة معها .. حياة أغوتها و(غولتها) حياة طالما حلمت بها وتمنت أن تعيشها .. رجل فيه كل المميزات .. رجل أعمال ناجح وطموح يصل إلى ما يصبو إليه حتى ولو بالسبل غير المشروعة فالغاية عنده تبرر الوسيلة، تقابلا فى نقاط كثيرة : حب الذات ، الأنانية ، حب الظهور ، حب المال والغنى، الطموح غير المحدود ، عدم الرضا عما قسمه الله مهما كان فى أعين الكثيرين جميلا ومحمودا .

وبدأت تقابله سرا حتى طال العهد بهما وفاحت رائحتهما حيث كان يأتيها وزوجها فى العمل أحيانا فى، يوم إجازتها وشم زوجها الرائحة فواجهها لكنها أنكرت .. فواجهها بأنه يشك فى خروجها الكثير وزينتها المبالغ فيها ، فأنكرت كل شئ .. واستمرت فى غيها مع عشيقها فى طريق الهاوية والنكبات .. دون وازع من ضمير أو دين .

واتفقت مع عشيقها أن تدس السم فى الطعام لزوجها حتى تتخلص من شكوكه وتحيا مع عشيقها بأمان فوافقها على ذلك ، لكنها لم تنجح فى خطتها لسبب ما .

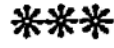
فاتفقا على قتله معا .. حيث استدرجته بالسيارة معها فى طريق مهجور انتظرها فيه عشيقها ثم طلع عليه عشيقها فأطلق عليه النيران وفر بعشيقته إلى وكره حيث قضيا ليلتهما دون خوف أو رادع وفى الصباح ذهبت لشقتها واتصلت بالشرطة زاعمة أن زوجها متغيب عن المنزل وهى تبحث عنه .

وبعد بحث الشرطة الدؤوب عرفوا تفاصيل الحادثة وألقوا القبض عليها وعلى عشيقها ، وانتهى أمرهما .. بعد أن راح الزوج الطيب ضحية لهما ، ذلك الزوج الذى أحب زوجته حبا عظيما لكنها ما قدرت ولا عرفت شكر نعمة الله عليها .. ما عرفت قدر الحب الذى كان الزوج الطيب يكنه لها .

إن الرغبة غير الحب ... فالرغبة عمياء لكن الحب نور

لكل من يحب ويحب ... إن الفرق بينـــــهما كبير

إن الرغبة هى تمنى الاستهلاك ثم الإفناء ، أما الحب فهو الرغبة فى العناية والرعاية .. هو الأمان بمعانيه العديدة الرفقة فى الوحدة ، الكفالة وقت الأزمات ، المواساة حين الهزيمة ، التشجيع لدى الانتصار .. إن الحب سلعة نادرة !.



الشرف

يقولون : " من فقد الشرف لم يبق لديه ما يفقده " ! ، قد تربى البنت على فضائل الأمور ومعاليها لكنها تزوج لشخص - لا أطلق عليه رجلا - يجبرها على الرذائل من أجل المال أو المصلحة الذاتية ، والرجل يعرف بأخلاقه ودينه ومبادئه وليس بماله ولا اسمه ولا سلطانه بل ولا حتى بطموحاته التى ربما تكون مقبرة دنسة ..!!

تزوجها وهى لا تعلم عن الزواج شيئا بل ولم تبلغ العشرين كانت بكرا فى كل شئ ، حتى أفكارها عن الدنيا والناس كانت بكرا .. أخذها صغيرة ليربيها كيفما أراد.. وبعد ليالى الزفاف الأولى عرض عليها شريطا مسجلا فيه كل ما دار بينهما فى غرفة النوم ، فى مخدعها .

وصعقت الفتاة وسألته عن سبب تصويره هذه الصور المسجلة فهددها بنشر هذا الشريط لكل أقاربها وأقاربه بل وأصدقائه إن لم تستجب لمطالبه وأكد لها أن له مطلبا واحدا ألا وهو أن تعمل كفتاة ليل لأصدقائه حتى تسهل له أعماله ومصالحه معهم .. وسوف يعلمها فنون اللعبة .. طالبته بمغادرة المنزل لتستعد نفسيا بمفردها لما طلبه منها .. فخدع واستجاب لها لكنه فوجئ بهروبها إلى حيث لا يعلم .. وبعد مراقبته لبيت أهلها خطفها من أمامه حين اقتربت منه وأخذها للمنزل وضربها ضربا شديدا وربطها فى الفراش ربطا محكما وبعد يومين أحضر لها أحد أصدقائه وأدخله عليها الغرفة ثم أمضاها على (وصولات أمانة) وتركهما معا .

أخذ الصديق مأربه منها وتم كذلك تصوير كل شئ ثم خرج وتركها فريسة للبكاء والألم والخوف والاشمئزاز .. كان من الممكن أن تلجأ لوالدها لو كان حيا لكنها كما يقولون : (مقطوعة من شجرة) وأمها مسنة لا حول لها ولا قوة وأخذ زوجها يمتهنها فى علاقته الحميمة معها ويجبرها على أشياء وأوضاع لا تريدها حتى كرهته وكرهت الحياة بما فيها وإذا رفضت له أى مطلب ضربها ضربا شديدا وجرحها في جسدها بأداة حادة فما كان منها إلا أن غافلته وقطعت شرايين يدها وانتحرت وأنهت عذابها بيدها ..!!

إن حب النفس غريزة وضعها الله سبحانه وتعالى فى نفس الإنسان لتكون ينبوع العمل ومبعث الحركة ومطلع شمس المدينة والعمران، لكن هذه الفتاة قتلت نفسها دفاعا عن شرفها ونفسها بعد أن أغلقت فى وجهها كل أبواب الرحمة ووقعت فى يد سفاح مجرم لا يرتدع عن فعل أى قبيحة ودناسة ودناوة

ولسنا بهذا نبيح الانتحار .. بل كان ينبغى أن تفر الضحية إلى الشرطة فتحكى لهم عن مأساتها ومصيبتها ليقتص لها القضاء العادل .. ولكن قضاء القدر كان أسرع !.

***

روميو واحد وألف جولييت

صغيرة هى الدنيا ، وأحيانا حين يعز اللقاء يقولون كبيرة هى الدنيا ، لكن هذا الرجل عرفها صغيرة وعرفها كبيرة .

عرفها صغيرة حين كان يقابل امرأة ممن عرفهن قبل ذلك فى مكان لم يكن يتوقع أن يراها فيه .. وعرفها كبيرة حين كانت المتع تغرقه وينتشى باللذائذ خاصة النسوية منها ، فيرى أن الدنيا واسعة يجد فيها كل ما يحب .

كانوا يطلقون عليه (روميو) رغم أنه كان صعيديا حيث الشرف غال فداؤه الدم ، عرف نساء بعدد شعر رأسه ، أحبهن حقيقة فقد كانت نفسه تعشق كثيرا باختلاف الأشكال والأطوال والأحجام ، وربما لم يحب حقيقة فالذى يحب حقيقة يكون مثل روميو الحقيقى لا يحب إلا جولييت واحدة .

أما صاحبنا فهو روميو لكنه خدع ما يربو الأربعين فتاة وهو بعد فى الخامسة والثلاثين فمنذ نعومة أظفاره كان متجولا فى دنيا النساء .. ولذكائه الشديد رسم خطة لاستنزاف كل ما يمكن أن يستنزفه من الفتيات ، يتقلد (صورة) أعلى المناصب ثم يؤجر سيارة فاخرة ويتعرف على فتاة معينة ويقابلها بالبدلة الشيك ثم يحكى لها قصة مزيفة عن خطيبته التى تركته وغدرت به مع حبه لها وتضحياته من أجلها ، ويغمرها بكلمات الحب والحنان الجارفة ويعزف على أوتار أنوثتها وخلو قلبها واحتياجها للزواج بعد أن أشرفت على العنوسة ، ثم يطلب منها أن تثق به ولضمان ثقتها يطلب منها أن تمضى له على (وصلات أمانة) وبعد اتصالات هاتفية ساخنة ليلا ومقابلات فى الحدائق العامة نهارا وبعد أن يتأكد من امتلاكه لها يبدأ فى الابتعاد عنها والانقطاع ، ثم يطالبها

بمبلغ عشرة آلاف جنيه وإلا فإنه سيقدم (وصلات الأمانة) للنيابة فمن توضخ له وتقدم المال المطلوب يتركها ، ومن ترفض طلبه يشكوها فى النيابة وينفضح أمرها .. وهكذا مع نساء كثيرات حتى ربا عدد من خدعهن على الأربعين .

ذات مرة تعرف على محامية وخدعها بنفس الطريقة لكنها تقدمت للشرطة بالبلاغ عنه ولتعدد البلاغات استطاعت الشرطة القبض عليه من خلال أوصافه بمحاضر الشرطة واعترف روميو بارتكابه للجرائم وذلك لمروره بضائقة مالية مستغلا حاجة المجنى عليهن للزواج وتمت إحالة المتهم للنيابة التى أمرت بحبسه على ذمة التحقيق لقد أصبح الحب سلعة رخيصة وكلمة ممتهنة يستعملها الجهال والمجرمون لتحقيق مآربهم والحب برئ منهم .. إن الحب بناء لا هدم ، صدق لا كذب ، حق لا باطل ، نور لا ظلام ، حلم لا كابوس لا وهم لا زيف لا خداع .. وعسى أن يتعلم الجهال ويتعظ الناس !.

***

حيوان مدلل

عائلة عريقة .. رجالها ذوو خصوبة عالية .. وولد الصبى المدلل فى هذه العائلة فهو جزء منها .. هو ابن من أبنائها .. نشأ على العز والنعمة والبذخ والترف .. ولد وفى فمه ملعقة ذهب .. وكبر وفى يمناه امرأة وفى يساره دولارات تنفق يسراه على يمناه .. بمنتهى السهولة والليونة ،كان يعيش فى الجنة على هذه الأرض .. كل ما يطلب يجد ، كل ما يشتهى ويتمنى يجده أمامه ميسرا ممنوحا مبذولا .

وصار رجلا عاقلا رشيدا لكنه أبدا ما كان ذا عقل ولا رشد .. كان سفيها تافها .. مات والده وورث عنه كل شئ ، العقارات والأموال والقصور والشركات والأسهم .. كل شئ من القلم للصاروخ .. وصار بعد والده بلا أى وازع من عقل أو ضمير .. فدمر قلوب فتيات بلا عدد وخدم شهوته كما يحلو له .. وفجأة بعد مرور الوقت أنفق كل ما يملك ما عدا فيلته التى يقطنها وسيارته التى يركبها ومحموله الذى يستخدمه وشركته التى يديرها ، لكنه حتى لم يكن يملك مرتبات الموظفين الذين يعملون فى الشركة .

وحكمت عليه المحكمة بالحبس لأنه أمضى شيكات بدون رصيد وهكذا تحول من الثراء الفاحش إلى رجل مطلوب القبض عليه وهرب إلى وكر للمجرمين .. هرب إلى حيث لا تراه عيون المخبرين والعساكر .. وأضحت الشرطة فى بحث حثيث عنه ، وأصبح الخوف ضجيعه بعد أن كانت النساء ملء أحضانه ، وتدور الدنيا وتتحول بأهلها وهو لا يملك حتى أن يرى الشمس بعينيه مطمئنا !.

وسار إلى عمه خفية يطلب منه المساعدة لآخر مرة ، فرفض عمه أن يساعده ووبخه وطرده بعد أن طلب له الشرطة وفر من وجه عمه إلى الوكر الذى أصبح ملجأه الوحيد .

وصارت موظفة عنده هى معاونه الوحيد وبعد أن كان لا يلتفت إليها أصبح يرى فيها نساء العالم أجمع .. فتعلم كيف يجمع حوائجه من النساء فى امرأة واحدة .. وعلمه صاحب الوكر أو رئيسه كيف يعمل كناسا ثم في الفاعل .. علمه كيف يكسب لقمته بعرق جبينه ، وعرف مذاق كسب اليد بالحلال بعد أن فارقت الملعقة الذهب فمه الصغير .

وعرف عمه بحاله وكيف أصبحت الدنيا مؤدبة له ومربية فعطف عليه من جديد وسدد عنه الشيكات المستحقة واحتضنه وزوجه ليبدأ صفحة جديدة فى دنيا جديدة لكنى أتساءل .. لقد كان يدعى الحب مع كل امرأة كان يعرفها فهل لو عرف الحب على حقيقته هل كان حاله سينحدر إلى ما وصل إليه ؟ ، بالطبع .. لا .. وألف لا.. فالحب العاقل أساس كل عمل ناجح .. والرجل الصادق لا يحب إلا مرة واحدة .. كذلك الحب أبدى .. لا يموت !!.

***

أهكذا يكون الحب ؟

عرفتهما معا متحابين ، كان كل منهما يكمل الآخر ، يفدى الآخر بحياته ويكل ما يملك .. تزوجا وبدأ رحلة كفاحهما فى بلاد الغربة ، والغربة شديلة حتى على الأحباب ، فللوطن حب خاص فى النفس البشرية وله عشق خاص فى قلب الإنسان .. والعليل يتروح بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجلبة ببل المطر وكما قال أمير الشعراء :

قد يهون العمر إلا ساعة ... وتهون الأرض إلا موضعا

إن الوطن قبل الروح لأنه مقر راحتك .. ومع أن أجمل البلاد حيث يقيم الأحباب وأخصب الأراضى حيث تطأ أقدامهم إلا أن الحبيبن عانا من وحشة الغربة حيث لا أهل ولا خلان ولا هواء الوطن ونسيمه .. وتحملا كل عناء فى سبيل توفير مستوى معيشى أفضل .. عملت هى فى مجال عملها ممرضة أى ملاكا بشريا وعمل هو محررا فى مجلة إسلامية اجتماعية ، ومضت الأيام لتجلو الخبر عن ذرية طيبة ولد وبنتين ، ومضت الستون بحلوها ومرها واستطاعا أن يوفرا لأبنائهما مستوى معيشيا معقولا واشتريا شقة فى منطقة معقولة وأجرا شقة فى منطقة أخرى بإيجار قديم .

وكبر الأبناء فرجعوا جميعا لأرض الوطن وكانت هى قد أصيبت بداء السكر وأصابها الشلل فترة ضريبة أحزان الغربة واستطاعت بإرادتها بعد رحمة الله وقدرته أن تشفى من الشلل كما أصيب كبدها بداء العصر .. فيروس سى .. وبعد أن كانت ممتلئة الجسم أصبحت نحيلة لكنها ببراعتها النسوية استطاعت أن

تحتفظ برشاقتها وأنوثتها لزوجها الحبيب فقد كانت تؤمن أن الحياة الزوجية ينبغي أن تستمر مودة ورحمة .. فإذا اختلفت عن ذلك أضحت مهدمة لا معنى لها .. لا تعلو أشخاصا يعيشون تحت سقف واحد .. أغرابا .

لكن القدر امتحنها فى حياتها الزوجية رغم ابتلائها الشديد فى صحتها .. تزوج ولدها بدون علمها وأتى بزوجته تعيش معها رغما عنها وحدثت الخلافات المعتادة لتجد نفسها غريبة في بيتها لا تملك إلا أن تعيش فيه بعد كفاح العمر ومشقة الغربة ولوعة البعد عن الوطن الحبيب.

وتطاول عليها ولدها من أجل عيون زوجته فضربها ثم طردها خارج المنزل في الواحدة صباحا حيث الدنيا ساكنة والأشرار يملؤون الطرقات .. كل هذا وزوجها يرى بعينيه ما يحدث ولا يحاول - مجرد المحاولة - الدفاع عنها .. وأخذت تتساءل وهى فى الطرقات حائرة ونار الحرقة تحرق صدرها الملتهب من عقوق ولدها وتخلى زوجها وحبيب الأمس عنها خوفا على نفسه من أن يضربه ولده مثلما ضرب أمه .. وسارت فى الشوارع تائهة ،أين تذهب .. أين المفر من وحشة الزمن وغدر الأيام .. طردوها من بيتها الذى كافحت لبنائه لبنة لبنة، وأخذت دموعها تجرى على خديها وهى تنهب الأرض نهبا دون أن تشعر بقدميها أين تذهبا بها .

وبعد أربعين يوما وجدوها ملقاة فى مستشفى حكومى بين المرضى نفسها مريضة أكثر من جسدها تشكى لربها كل ما هى فيه وقلبها متقد نارا من لوعة العقوق ونكران الجميل .. كيف تعاشر زوجها بعد ما حدث ؟ .. كيف تتحدث معه مجرد الحديث ؟، لابد أن تطلب الطلاق .. كيف تعيش معه بعد ما حدث ؟ وبمقدرة الله بدأت تتماثل للشفاء وخرجت من المشفى على بيتها .. وتم لها ما

أرادت .. وصممت أن تقاطع زوجها مقاطعة أبدية .. وتم لها أيضا ما صممت عليه .. كل منهما ينام فى غرفة منفصلة عن الآخر .. هدم الحب الذى كان .. دمره الزوج بسلبيته وتقاعسه عن الوقوف بجانبها ونسيانه ما فعلته طوال عمرها من أجله .

أهكذا يكون الحب .. أهكذا يكون الإخلاص .. على الدنيا السلام ! .

***

العائلة الإجرامية !

عندما يتحكم الشيطان ويستبد برأس الإنسان يتحول بدوره إلى أداة لا تعرف سوى الشر ولا تحصد سوى الكراهية والإيذاء ، هنالك يصبح الإنسان ألعوبة في يد الشيطان ويصبح مستعدا لتنفيذ أية جريمة واستغلال أي شخص حتى لو كان أقرب الناس إليه .

هذا ما حدث مع هذه العائلة فالأب والأم اللذان هما القدوة للأبناء أصبحا مثالا سيئا ونموذجا للجريمة وللاعتداء على الآخرين وعلى أموالهم .

علم الأب والأم لعبة الحب ليتصيدا فريسة يسرقاها ، بدأ الأب حياته لصا عاديا يتسلق المواسير ويتسلل إلى البيوت الآمنة الخالية من أصحابها ، لكنه حين كبر عجز عن تسلق المواسير ففكر في استغلال جمال ابنته للسطو على المنازل الخاصة ببعض الرجال الذين تتعرف إليهم ابنته وتجلس مع أحدهم بعيدا عن منزله فترة من الوقت يتمكن الأب خلالها من سرقة ما يريد سرقته .

وأطاعت الابنة أمر أبيها رحمة به بعد أن أصبحت طرق السرقة القديمة شاقة عليه وبعد أن أصبح جسده لا يحتمل السجن والتنقل عبر سيارات الترحيلات .

وتعلمت الإبنة لعبة الحب واللعب بمشاعر الآخرين حتى تخدم أغراض أبيها الدنيئة .. وعلمتها أمها كيف تخدع الرجال وتلعب بهم بسلاح جمالها الآخاذ وكلامها المعسول وجسدها المياس ، إن الشاعر يقول :

الأم مدرسة إذا أعددتها . أعددت شعبا طيب الأعراق

لكن هذه الأم هدمت ابنتها وغرست شجرتها فى طينة الرذيلة ولحقتها بسموم الفحش والدنس والخبث .. فويل لها فى الدنيا والآخرة .

فى الدنيا ستجنى عقوق ابنتها لها وكراهيتها ، وفى الآخرة ستجنى تبرأها منها بل وسوف تسحبها إلى الجحيم .. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .. وتعددت البلاغات أمام النيابة عن حوادث سرقة متشابهة فى الأحياء الراقية خلال فترة زمنية بسيطة ويبلغ إجمالى قيمة المسروقات ثلاثة ملايين جنيه .

وبعد تحديد أوصاف الفتاة من الضحايا وبعد البحث والتحرى ضبطت الشرطة الأم وهى تبيع المسروقات وتم القبض على العائلة بأكملها .. وهكذا انتهت القصة لكن العبرة باقية وإن انتهت الحكاية فالحياة مستمرة والبشر باقون إلى ما شاء الله .

كيف يمكن للحب أن يلعب فى جريمة دورا حقيرا كهذا ؟ ، أهذا هو الحب الذى نبحث عنه ونلهث خلفه ونتمناه ؟ ،إن هذا ليس حبا بقدر ما هو إغراء ، أجل كالكلب الذى تضع له اللحم لتربط عنقه بالسلسلة .. الموقف لا يختلف كثيرا عن مواقف الفتاة اللعوب مع الضحايا .

إننا فى زمن الخداع والقسوة ولسنا فى زمن الصدق والمروءة والحب.. لقد انتهى زمن الحب .. أجل .. انتهى زمن الحب !.

***

حسناء من جهنم

قد تكون الأنوثة فى بعض الأحيان وبالا على صاحبتها وعلى ضحاياها .. ابتسامة جذابة وزينة مبهجة تشد الرجال وحنان طاغ وجسد فائر .. كلها وسائل لاجتذاب الرجال تعرض نفسها على الرجل فى سيارته وتعيش معه لحظات تدعى فيها الحب وما ذلك بحب ـ ولكن لنمضى فى الطريق من أوله .

لم تصدق نفسها وهى ترتدى الفستان الأبيض .. يدها بيد عريسها وبجانبها صديقاتها يهنئنها فى هذا اليوم الذى تحلم به كل فتاة .. كانت فى التاسعة عشر من عمرها .. تخيلت أنها استقلت بنفسها بعيدا عن تحكمات الأهل خاصة عند خروجها ودخولها من المنزل وأوامرهم فيما ترتديه من ملابس .

لذلك وافقت على أول عريس تقدم إليها وأجبرت عقلها على الاقتناع به .. رأته الفارس الذى سينتشلها من السجن الذى تقبع به ، وبالرغم من عدم موافقة والدها على هذا العريس إلا أنها دافعت عنه وأعطت لنفسها المبررات قبل أن تعطيها لأبيها لتصل إلى اليوم الذى تتمناه .. إنه يوم عرسها .. أو بمعنى أصح .. يوم هروبها الذى تمنته وانتظرته من براثن أهلها ! .

كانت أيامها الأولى فى الزواج أجمل أيام قضتها فى حياتها لكن هذه السعادة سرعان ما تبددت ليحل محلها الشجار الذى يصل أحيانا إلى السباب والضرب بسبب خروجها من البيت بلا ضابط وإهمالها لبيتها .

حاول زوجها إقناعها بأن ما تفعله يسئ له ولها .. لكنها قررت أن تعيش الحرية كما أرادتها .. وحاولت الاستعانة بوالدها لحل مشاكلها إلا أنه أيد زوجها فى كثير من الأمور .. فقررت الطلاق .. وحاول الجميع إثناءها عن

طلبها لكنها صممت .. وحصلت على حريتها المنشودة .. حيث هربت من منزل أسرتها بعد الطلاق إلى القاهرة الكبرى حيث سكنت إحدى المدن الجديدة على أطراف العاصمة بعدها بحثت عن عمل فلم تجد إلا (كافيه) بشارع الهرم .

وبدأت تعمل طوال الليل وتنام طوال النهار .. وبعد فترة رأت شابا وسيما عليه علامات الغنى فوقعت فى حبه بعد أحاديث طويلة .. وسلمت نفسها له بالكامل لكنها رأت أنه يماطلها فى وعده بالزواج فمنعت نفسها عنه فظهر على حقيقته ونعتها بأبشع الألفاظ وطردها من حياته شر طردة وتركها بعد أن زرع بداخلها كراهية الرجال .

تركت عملها واعتكفت فى شقتها الصغيرة بعيدا عن الناس بعد فترة حين اقتربت أموالها من النفاذ طرأت فى رأسها فكرة شيطانية .. قالت لنفسها : سوف أنتقم من معشر الرجال وسوف أحصل على أموالهم .. اشترت مخدرا من إحدى الصيدليات .. وبدأت فى تنفيذ خطتها حيث انتظرت الصيد فوقفت فى مكان تنتظر ضحيتها الأولى ، ورأت رجلا يبدو عليه الثراء يركب سيارة فاخرة يغازلها فابتسمت له وفتحت باب السيارة وجلست بجواره .. سال لعاب الرجل على جمالها .. أخبرته أنها تأخذ المال مقدما قبل أن يلمسها فأخرج الرجل مبلغا كبيرا ووضعه فى يدها فطلبت منه أن يشترى بعض العصائر ثم طلبت منه أن يشترى عشاء فاخرا وحين نزل لشراء العشاء وضعت المخدر فى العصير وحين شربه ذهب فى سبات عميق فجردته من كل ما يملك وأخذت كل ما هو غال منه ومن سيارته .

شعرت بنشوة غريبة وأقسمت أن تكرر تجربتها الأثيمة مع كل رجل يحاول النيل من جسدها .. وبالفعل نجحت أكثر من مرة لكنها وقعت فى رجل صعب

المراس فى مرة من المرات حيث رفض تركها بمفردها فى سيارته بل ورفض وضع أى شئ فى فمه معها فافتعلت معه مشكلة وهربت منه بصعوبة بالغة .

لكن عقلها الشيطانى هداها لفكرة أخرى فاشترت موس حلاقة ووضعته فى حقيبتها وعادت لجرائمها مرة أخرى .. تغوى الرجل بجسدها ثم تطلب منه خلع ملابسه من أسفل وفجأة تضع الموس على أماكن حساسة ليستسلم لها الرجل تماما ويخرج من جيوبه كل ما تريده .. وقبل أن يلبس ملابسه تفر بعيدا .

جمعت مبالغ كبيرة وقامت بتغيير شقتها الصغيرة بشقة أكبر وأفضل واشترت ذهبا وملابس أكثر إثارة وكررت فعلتها مرات ومرات حتى تخلى عنها حظها ووقعت فى براثن رجل حريص .. لما خلع ملابسه وأعطاها كل شئ وهربت جرى وراءها عاريا وأمسكها وأخذ يضربها وتجمع الناس ولم يصدقوا الشاب إلا بعد أن أخرجوا من حقيبتها المحمول والمال .. وأصر الشاب على الذهاب بها إلى قسم الشرطة وهناك تم تحرير محضر بالواقعة ، واعترفت أمام وكيل النيابة بكل جرائمها واتهمت بالفعل الفاضح والسرقة بالإكراه .. وهكذا لقيت جزاءها فى الدنيا لكن عقابها فى الآخرة مؤجلا عند الله .

هل هذا الحب (التيك اواى) هو ما يبحث عنه الشباب ؟ ، هل الحب يكون بخلع الملابس ؟ .. إننا نعانى من أخطاء جسيمة فى مفاهيمنا عن الحب بل عن كل القيم فى حياتنا .. فمتى نفيق ومتى نتعلم ؟ .

***

وضاع الحب يا ولدى

(أحببت .. وفيت .. وضحيت . . وفى النهاية كان جزائى الخيانة وإلقائى فى الشارع أنا وطفلى الرضيع !) .

عرفته فقيرا معدما لكنها أحبته لروحه التى ترتفع على الدنيا بما فيها ، لم يكن تافها كغيره من الشباب ، كان يفكر فى الآخرة باستمرار .. وانضم لطائفة الجلابيب .. وطلب منها أن ترتدى النقاب .. وارتدته ، وجهز لها شقة متواضعة جدا على قدر إمكاناته وتزوجا رغما عن أمها التى رفضته لأنها لم تكن ترتاح له .. كانت تعتقد أن كل المظاهر الدينية التى يتمسك بها وجعلها تتمسك بها مثله مخادعة .. وأنجبا ولدا كان يشبهه لأقصى درجة .. وتمعن فى الأفكار الخاصة بطائفته وأصبح فردا مهما فيها .

ومرت بهما الأيام وهى بالنسبة له كإصبعه يحركه كيفما شاء ، أحبته وقدمت من أجله كل شئ .. وفى النهاية باعها بالرخيص .. كان زميلا لها فى الدراسة .. جمعتها به قصة حب كبيرة بدأت حياتها معه بالكثير من التنازلات .. كان حين يغضب من أتفه الأسباب ينهرها ويتركها مخضبا بالأيام .. منعها من العمل منعا باتا .. ووافقت دون تفكير .

كان يتركها فى الشقة طوال النهار ويغلق عليها بالمفتاح وحين يعود يجدها فى أجمل صورة لها .. لم تشك له يوما من الملل وتحملت من أجله كل شئ منه ومن أهله الأجلاف .

حين حملت أخبرته فتقبل الخبر ببرود شديد وكأنه أمر عادى .. بدأت تشعر بالدهشة من الهدوء والبرود الذى يسيطر عليه .. ورغم مرور عام واحد على

زو . هما إلا أنه بدأ يشعر بالضجر ويتحجج بأمور واهية حتى يفتعل معها المشـ ـكل حتى قام بضـ. بها فى أحد الأيام دون سبب واضح وهى حامل ! .

وكانت الصدمة الكبرى حين علمت أنه على علاقة بامرأة أخرى يخونها معها . ولا تعرف ما هو السبب الذى دفعه لخيانتها .. لقد كانت بين يديه كالخادمة المطيعة التى لا ترفض أمرا لسيدها .. وحين واجهته اعترف لها بكل صلف وبرود أنه متزوج وأن هذا شرع الله .

وبعد أن أنجبت طفلها اعتقدت أن هذا ربما يعيده إليها لكنها كانت واهمة .. (وفجأة فوجئت به يدخل وفى يده زوجته .. شابة صغيرة أقل جمالا منها لكن يبدو عليها الذكاء الفائق .. وأخبرنى بكل بساطة أنها سوف تعيش معنا) .. فجن جنونها وقالت له إنها لا تطيق هذا فخيرها بين القبول أو الطلاق وبأنه سوف يضحى بها وبطفله ببساطة من أجل عيون زوجته الجديدة .

فاختارت الطلاق . وبهذا رجعت لبيت أسرتها دون أن يعطيها أدنى مليم من حقوقها وحقوق طفله .. والله وكيلها .. هذا جزاء المحبين فى هذا الزمن ! .

***

حب وانتقام

كان شابا ناجحا فى عمله مستقيما فى حياته حتى تعرف عليها لكنها دفعته للسقوط فى الهاوية وسلوك طريق الجريمة حتى أضاعت مستقبله .

يقول : ذبحتها وقطعت جسدها بالساطور لأنها خائنة .

كان أخا لثلاث فتيات .. ينفق عليهن من عمله بعد وفاة والدهم ، لم يعرف القرش الحرام إلى جيبه سبيلا إلى أن قابلها بالطريق ذات يوم فتعرف عليها وكانت ساعتها متزوجة من رجل آخر .. كانت تكبره بسنوات لكنه أحبها وتيم بها .. طلباتها لا تنتهى ومع ذلك كان يسعى فى أى طريق ليسعدها ويلبى طلباتها حتى اضطر للسرقة وحبس سنتين من أجلها وحين خرج من الحبس طلقت من زوجها وبعد عدتها تزوجها وعاش معها أياما فى هناء .

بعدها بدأت المطالب تتوالى حتى أغرقته فى الديون ليدبر لها مصاريفها وطلباتها التى لا تنتهى لها ولبناتها من زوجها الثانى .

(وذات مرة طلبت منى عشرة آلاف جنيه لتنفقها فى تجهيز ابنتها ولكنى فوجئت بأنها على علاقة محرمة بشاب فى عمر ابنتها وحين واجهتها أنكرت بشدة لكنها بدأت تدبر لى مكيدة فأرشدت رجال الشرطة بسرقات لى فقبضوا على وفى سجنى عرفت أنها هى التى أرشدت على فأصبت بصدمة شديدة تسببت فى إصابتى بجلطة فى المخ .. وفى السجن سمعت بخياناتها المتعددة مع رجال كثيرين ! ، وخرجت من السجن لأنتقم منها على تلويثها شرفى بهذه الطريقة القذرة لكنها علمت بمكانى فأتت إلى نادمة وتوسلت لى أن أصبر عليها وأساعدها على التوبة من الحرام كله : من المخدرات والعلاقات المحرمة .

أعطيتها فرصة أخرى لكنها بعد أيام أتتنى فى شقتى التى كنت أسكن فيها بمفردى بعيدا عن مكان فضائحها ومعها ولداها منى فدخلت للاستحمام وهى مع الولدين وحين خرجت فوجئت بها عارية أمام الولدين فصعقت وأسرعت بإبعاد الولدين عن المكان ثم قطعت رأسها بالساطور ثم قطعت جسدها إربا دون أن أرأف بها أو أبالى بتوسلاتها كى أسامحها .. ثم وضعت قطع جسمها النتن فى أكياس بلاستيك ثم فى كرتونة ثم أخفيتها .)

قبضت عليه الشرطة واعترف أمامها اعترافا تفصيليا عن جريمته .. لكنى أعتقد أنه يستحق البراءة لأنه خلص المجتمع من هذه المرأة النجسة التى لم تراع حرمة دين أو أعراف أو ضمير أو حتى احترامها لنفسها و لأبنائها .. لقد مارست رغبتها فى كل شئ دون نظر لكرامة زوجها المسكين الذى أحبها ووهبها كل شئ .. لكنى ألوم هذا الزوج لغبائه الشديد حيث لم يفهم صفات هذه الزوجة وشخصيتها من البداية فقد كانت أنانية ونرجسية بشكل ملحوظ ، ثم إنها أحبته وهى متزوجة وهذه لا تؤمن على شرف أو عرض .. فكيف آمنها على كرامته ؟ وكيف سمح لنفسه بالسرقة ليرضيها .. لقد أغضب الله فى سبيل رضاها وبهذا يستحق كل ما حصل له من سجن وعذاب لكنه فى النهاية مجرد ضحية لزوجة مجرمة عابثة لم تقدر قيمة حبه لها .

***

الحب القاتل

كان بإمكان المقاول الشاب أن يتجنب شقيق زوجته أو على الأقل استرضاؤه .. وتمر الأمور .. إلا أن ضيق الأفق جعله يستجيب لنداء الشيطان ويتخلص نهائيا منه !.

أحبها حبا عظيما وبادلته حبا بحب وتقدم لأهلها فرفضوه رفضا باتا بل وطردوه لأنه أقل مكانة ومستوى منهم فسافر إلى الخليج ليكون نفسه ويجمع مالا يجعله يرقى نوعا ما لمستواهم .

ورجع من السفر بعد أربع سنوات وقد جمع مالا كثيرا وتقدم إليها مرة أخرى فكان مصيره الرفض والإهانة خاصة من أخيها الكبير .

فقابلها فى الطريق وسألها إن كانت تريده حقا زوجا لها فأجابته بالقبول وأكدت له أنها لن تتزوج رجلا غيره ، فاتفقا على الزواج العرفى .. وتم لهما ما أرادا حيث هربت من بيت أسرتها معه إلى شقة مفروشة ،ولشدة الصدمة على أبيها مات وانتهت حياته بخطأ ابنته فاستدركت الأسرة الخطأ وطلب أخوها منه أن يعيدها إلى البيت وسوف يزوجها له علنا وبالفعل تقدم لها من جديد وتمت خطبتهما لكن أخاها كان يتحكم فى كل اتصالاتها حتى خنقه بتحكماته .

وأحب أخوها فتاة فى أطراف البلدة فنصحه وقال له بأن هذه الفتاة سيئة الخلق وقال له كذلك بأن هذه الفتاة نفسها كانت على علاقة معه هو نفسه قبل ذلك فلم يتقبل أخوها هذا الكلام وعنفه ومنعه من الحديث مع أخته.

رأى رجلنا أنه حرم من خطيبته وحبيبته فتربص بأخيها وانقض عليه بالسكين فطعنه إحدى عشرة طعنة فى جسده - وفى لحة عين قبضت عليه الشرطة وحكم عليه بالإعدام وخسر حبيبته وخسر حياته وكل شئ .

***

صديقي أحب أمي !

نشأت وحيدا لوالدى لكن ذلك لم يمنحنى أى ميزة فلم أكن أبدا الطفل المدلل عندهما بل جعل هذا أبى يفرض رقابته وحراسته على طوال الوقت .. ولم يكن لدى أى متنفس إلا مع صديقى وجارى الوحيد الذى يكبرنى بسنتين كان يشكو لى كل همومه وأحزانه ويعتبرنى النافذة الوحيدة التى يطل منها على العالم .

وفجأة مات والدى فراود أمى شعوران أولهما الحزن على الزوج والعائل وثانيهما الارتياح من الجلاد والرقيب وحامل مفاتيح السجن الذى نقيم فيه.

انطلقت من القمقم كالمارد وانفتحت أمى على صديقاتها وعوضت كل الفترة التى حرمها فيها زوجها من متع الحياة ومباهجها وأصبح خروجنا من المنزل يوميا ، وحولت دراستى إياها غصبا إلى كلية التجارة التى تتناسب مع ميولى واهتماماتى ووافقت والدتى بسهولة لأنها تريد تعويضى عن فترة القهر التى عشتها مع والدى رحمه الله .

وفى يوم من الأيام وهو عند صديقه الحميم أخذ يقلب فى محمول صديقه ويتجول فى محتوياته بعينه فرأى فيه صورة أمه ، تعجب أشد العجب لكنه كتم دهشته وذهوله حتى يتأكد من الشكوك التى غزت نفسه نحوهما .

وصار يدعى أنه ذاهب لكليته لكنه كان يراقب المنزل من بعيد وفى مرة من المرات وجد صديقه يدخل منزل أمه فدخل وراءه بعد لحظات واتجه مباشرة إلى غرفة نوم أمه فوجدها بقميص نوم فاضح مع صديقه فى الفراش وهو بالملابس

الداخلية فانقض عليه بسكين المطبخ وقتله شر قتلة وبعدها توجه ببصره لأمه ففهمت ماينوى عليه فبادرته بقولها :

ـ إنه زوجى على سنة الله ورسوله .. لا تقتلنى .. لا تقتل أمك الشريفة .

التقط الورقة وهو ما زال ينتفض من الغضب والانفعال واكتشف أنها ورقة زواج عرفية فهدأت نفسه قليلا لكنه قال لها :

ـ حتى لو كانت علاقتكما شرعية لن أغفر لك ما حدث .. كيف لم تراع فارق السن بينكما وأنه صديق ولدك ؟ .

قالت له :

ـ وكيف سمح أهلى لأنفسهم بتزويجى رجلا يكبرنى بعشرين سنة ولم أعش معه يوما واحدا سعيدا وأنت نفسك عانيت على يديه الكثير وعموما إذا أردت أن تقتلنى فاقتلنى لكنى لم أغضب الله .

فنظر إليها نظرة طويلة وقال لها والدموع فى عينيه :

ـ لقد أضعت ولدك الوحيد بتهورك وحطمت مستقبله وأصبح قدره أن يمضى من عمره ما مضى فى ظل قسوة أبيه وأن يدفع ما تبقى من هذا العمر المكدود ثمنا لأنانية أمه ونسيانها حق الأمومة عليها .

***

تضحية وخسة !

تعرفت عليه فى عملها ومنذ أن رأته أحبته ، كانت تراقب كل تحركاته وسكناته لحبها له، كان رجلا عاديا فى مظهره وشكله بل وأحيانا كانت تلاحظ أنه غليظ نوعا ما .. لكنها أحبته ، أحبت عملها من أجله بل وتفوقت فى عملها من أجله .. أحبت أيامها بعد أن رأت منه بادرة عطف يسير .

وفجأة تغيب عن العمل وطالت فترة غيابه ولما تجرأت وسألت عنه زملاءها قال لها أحدهم إنه فى المستشفى يعانى من قصور فى وظائف إحدى كليتيه فذهبت من فورها إلى المستشفى لتطمئن عليه .. حين رآها أظهر بشرا وسرورا فقد قل زواره .. وشكا لها من ضعفه الشديد وحاولت مساندته فقالت له إن كل أزمة لها حل وأنها لن تتوانى عن مساعدته إذا استطاعت .

وذهبت من فورها إلى طبيبه الخاص وسألته عن حالته فقال لها آسفا : إنه سيحتاج الى أن يتبرع له أحدهم بكلية وصدمت حين سمعت كلام الطبيب لكنها أخبرته من فورها بأنها ستتبرع له بكليتها .. أمهلها الطبيب حتى تفكر فى الأمر جيدا فقالت له : إنها واثقة من كلامها وقرارها .. فقال لها إنه سيجرى لها الاختبارات الخاصة بهذا الأمر ويجرى لها التحاليل المناسبة .

وتم كل شئ كما أرادت .. ودخل غرفة العمليات معها ونقلت كليتها له .. وبعد نجاح العملية قال لها إنه سيظل مدينا لها طوال حياته لأن ما فعلته معه لا يفعله أحد فى الدنيا التى ازدحمت بالأنانيين والانتهازيين .. وعاشا معا فترة طويلة بعد ذلك كانت تظن نفسها فيها فى الجنة وفجأة أصيبت فى جسدها بأعراض غريبة موجعة فذهبت للأطباء فشخصوا لها المرض .. (السرطان) ولما

أخبرته قابل الخبر بمنتهى البرود والجفاء ، لم يقل لها حتى جملة واحدة تصبرها وتشد من أزرها ، وصبرت وتحاملت على نفسها وبررت موقفه الغريب بأن هذا ناتج عن جفاء طباعه وغلظته .. ولما ازدادت عليها الأوجاع ودنت نهايتها أرسلت فى طلبه فرفض زيارتها ورأوه مع فتاة غيرها فى مكان عام من تلك الأماكن التى يتقابل فيها العشاق .. تماسكت وظلت على صبرها لآخر لحظة .

وكلمته بنفسها فى اللحظات الأخيرة التى كانت تتنفس فيها نسيم الحياة ويتيقظ عقلها من أثر المسكنات .. كلمته فسألته عن حاله فأجابها بأنه بخير لكنه مشغول .. مشغول جدا .. فطلبت منه باستجداء أن تراه فى لحظاتها الأخيرة ولو لدقائق معدودة لكنه رفض رفضا قاطعا وتعلل بانشغاله الشديد .. وبأنه لا يطيق لحظات الوداع .. نزلت عليها كلماته كالصاعقة .. وظلت تبكى حتى خرجت روحها البريئة مع دموعها فى لحظة لعنت فيها الحب .

***

خاتمة

الحب الحقيقى هو ذلك الحب الذى يبنى ولا يهدم ، هو ذلك الذى يعمر البيوت ولا يهدها على رؤوس أصحابها ، الحب الحقيقى هو الذى يتم فى إطار من الشرعية وفى ظل الأعراف والتقاليد ، لا هذا الذى يتم فى إطار من الحرمة وفى ظلال الشيطان .

الحب الحقيقى هو المودة والرحمة .. هو السكن والراحة ، هو الطمأنينة والهدوء .. هو احترام أصول الأخلاق والقيم .. لكننا فى زمن ماتت فيه القيم وانهدمت فيه الأخلاق ومادت الأرض تحت وطأة الشهوات المحرمة والمدنسة للأعراض والشرف .. تلك الكلمة .. أصبحت لزجة تؤخذ بكثير من الميوعة والسخرية والاستهزاء .. أصبحت واسعة كالمطاط لينة كالأفاعى ماكرة كالثعالب .. لم يعد لها وزن ولا اعتبار .. وكما قيل : من فقد الشرف لم يبق لديه ما يفقده وصدق الشاعر إذ قال :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

وصدق من قال :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

والشرف بالهمم العالية ، لا بالرمم البالية ، وكما يقول الحكيم : ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحيتك ، ولعدوك عدلك ، وضن بدينك وعرضك عن كل أحد .

ويقول آخر : أفضل أن يموت الإنسان واقفا على قدميه على أن يعيش جاثيا على ركبتيه !.. فلنعرف القيم ونحن فى معترك الحياة ولنحفظ تلك القيم من أن تدنس على مقصلة الشهوات والشبهات !.

المراجع

- واقع الحياة .
- الصحف اليومية .
- شبكة الإنترنت .
- بعض الدواوين الشعرية .

المؤلفة في سطور

سمية عبد الحليم عويس

ـ مواليد ١٣يناير١٩٧٢م الكويت .

ـ تخرجت من كلية الآداب جامعة عين شمس قسم اللغة العربية وآدابها سنة ٩٣م .

ـ عضو رابطة الأدب الإسلامى .

ـ كاتبة بمركز الإعلام العربى .

أهم مؤلفاتها :

ـ أمهات المؤمنين العشرة المبشرون بالجنة ـ دار العبيكان بالسعودية .

ـ هكذا عرفت الله (رواية) .

ـ صراخ الصمت (مجموعة قصصية) .

ـ قطار الأيام (مجموعة قصصية) .

ـ في الصيف السابع والثلاثين (خواطر) دار الكلمة بالقاهرة .

ـ لقاء النفوس (فلسفة حياة) دار البشير بالقاهرة وطنطا .

ـ في أودية الحرمان (مجموعة قصصية) .

ـ في القفص الذهبي ، صولات وجولات .

ـ حدثنى الإمام الشافعى ـ دار المعارف .

ـ كيف أخرج من العاصفة بسلام ـ مركز الإعلام العربى .

ـ مصطفى محمود ، مفكر حالو يباشر الحياة ـ دار بوب بروف .

ـ غريب فى المدينة ـ دار بوب بروف .

ـ الجنة الموعودة (مجموعتان قصصيتان) ـ دار بوب بروف .

ـ رحلة في ذاكرة الأمة (مواقف من التاريخ الإسلامي) ـ تحت الطبع .

ـــ صور حضارية من تراثنا العربي ـــ تحت الطبع .

ـــ لحظات في حب الله (تصوف) ـــ تحت الطبع .

ـــ أطواق النجاة (تنمية بشرية) ـــ تحت الطبع .

ـــ في اللحظات الأخيرة (حسن وسوء الخاتمة) ـــ تحت الطبع .

ـــ حديث العقول (مقالات) ـــ تحت الطبع .

للتواصل :

somyahaleem@yahoo.com

الموقع الإلكتروني :

www.khodwhat.com

***

الفهرس	الصفحة

ــ المجموعة الأولى (قلوب ظامئة)


Pop professional press

قلوب ظامئة

حين نطارد شبح ابتسامة يفر .. أو نقف كل صباح أمام المرآة فنرقب بريق عينين يخبو .. حين يداهمنا السراب..أو يلفنا الغبار .. أو تتسع قلوبنا للوحدة والألم والفراق والغربة .. تكون قلوبنا ظامئة .

هنا .. قصة نفْس جريحة منكسرة هزيلة .. قصة عمر خط فوق سطح البسيطة لكنه وُئِد بمنجل الظلم .. قصة إنسان قابض على آخر جمرة نار فى كفه .. قصة حياة لا تزال فى حاجة إلى من يغنى .. دون نشاز .

فى هذه المجموعات القصصية الثلاث .. تخط الكاتبة سمية عبد الحليم عويس كلماتها الشفيفة بخيوط العنكبوت .. وتطوى ظلال الوجود مأخوذة بالسنين وبطعم الياسمين .

الناشر

